مجلة العلوم الشرعية
جامعة *القصيم*، المجلد (٧)، العدد (٣)، ص ص ١١٣٩-١٢٢٥، (رجب ١٤٣٥هـ/أبريل ٢٠١٤م)

تأليهُ الكنيسةِ الكاثوليكيَّة لمريَم
دراسةٌ نقديةٌ

د. يوسف بن علي الطريف
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة ـ جامعة القصيم

ملخص البحث. تدور فكرة هذا البحث حول قضية مهمة تتعلق بمعتقدات الطائفة الكاثوليكية النصرانية؛ ألا وهي: تأليه السيدة مريم عليها السلام، والتي ذكرها الله تعالى في كتابه بقوله: {إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك} حيث أضحت هذه القضية قضيةً واسعة الجدل في الأوساط النصرانية على اختلافها، مما جعل بعض النصارى ينكر ما جاء به الكتاب المبين، ويحاول آخرون أن يشككوا في هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن!

من هنا جاءت هذه الدراسة لتبين أن ما ذكره القرآن حق، وأن الطائفة الكاثوليكية قد أقرت جملةً من العقائد أطلقت عليها: (العقائد المريمية) وشرَّعت عدداً من الطقوس والتراتيل والصلوات الخاصة بالسيدة مريم؛ مما لا يمكن وصفه إلا بأنه محض العبودية لها...

واشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول:

الفصل الأول: مكانة مريم بين القرآن والعهد الجديد.

تبين من خلاله بأن العهد الجديد لم يحفل بذكر مريم! وأنه لا وجه للمقارنة بين ما ورد فيه من أقوال قليلة العدد والأهمية؛ وبين ما جاء في القرآن من ذكر مريم في آيات عديدة في (سورة مريم) وغيرها؛ تحمل الكثير عن مكانتها وفضلها واصطفائها على نساء العالمين...

والفصل الثاني: العقائد المريمية في الكنيسة الكاثوليكية وصلتها بتأليه مريم.

جاء موضحاً تلك (العقائد المريمية) التي تؤمن بها الطائفة الكاثوليكية؛ وهي: أن مريم دائمة البتولية، وأنها قد صعدت إلى السماء بروحها وجسدها، وأنها مبرأةٌ من الخطيئة الأصلية، وأنها سلطانة السماء، ووالدة الإله أو أم الإله...!! وأن تلك العقائد لم تكن بمعزل من النقد من قبل كثير من النصارى.

والفصل الثالث: المجامع الكنسية والفرق المسيحية وتأليه مريم، في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

تحدث هذا الفصل عن تأليه مريم؛ حين أُطلق لقب (أم الإله) في مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ وتقرر بشكل واضح في مجمع أفسس المنعقد عام ٤٣١، حين أنكر نسطور بطريرك القسطنطينية إطلاق هذا اللقب...كما وضح هذا الفصل بأن ثمة طوائف في التاريخ النصراني كانت تقول بألوهية مريم على ما أشار إليه القرآن؛ كالبربرانية أو المريمانية، وكذلك الركوسية ...كما ذكر ذلك بعض المفسرين.

والفصل الرابع: قراءة نقدية لإنكار المسيحيين المعاصرين تأليه مريم، ومصدر هذا التأليه.

جاء موضحاً ما حوته الكتابات الإسلامية من تفاسير القرآن وكتب الملل والنحل، وأن كثيراً من النصارى الأرثوذكس والبروتستانت قد انتقدوا بشدة تلك الممارسات الكاثوليكية تجاه السيدة مريم عليها السلام، كما تبين من خلال هذا الفصل الحديث عن الجذور أو المصادر الوثنية لعقيدة تأليه مريم.

ثم جاءت خاتمة البحث موضحة خلاصة النتائج التي توصل إليها الباحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين.

وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وأمه الصديقة مريم؛ صدَّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين، عليها وعلى ابنها الصلاة والتسليم ...

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾[سورة النساء: ١٧١] وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [سورة المائدة: ٧٧].

وأي غلو أعظم من القول بأن عيسى ابنُ الله! أو أنه الأقنوم الثاني للثالوث المقدس! سبحانك هذا بهتان عظيم. وإن من أعظم صور غلوِّ النصارى في دينهم اعتقاداتهم التي يؤمنون بها في مريم عليها السلام؛ ولقد كان أشد النصارى غلواً في مريم الطائفة الكاثوليكية، التي بالغت في تعظيم السيدة مريم عليها السلام؛ فأضفت عليها صفات التبجيل والتعظيم، وأقرت الكنائس الكاثوليكية جملةً مما أطلقوا عليه (العقائد المريمية) فباتت تلك العقائد وغيرها مما يمارسه الكاثوليكيون من طقوس وتراتيل للسيدة مريم مما لا يمكن وصفه إلا بأنه التعبد المحض، والتقرب الذي لا يليق أن يكون لبشر.

ومن هنا يتبادر إلى الأذهان ـ من قبل بعض النصارى أنفسهم فضلا عن غيرهم ـ سؤال في غاية الأهمية؛ ألا وهو: هل ما يعتقده الكاثوليك في هذه السيدة الكريمة، وما يلقبونها به من ألقاب التبجيل والتعظيم، وما يمارسونه من شعائر نحوها؛ تدل على تأليههم لها كما يقول القرآن الكريم؟

إن كثيراً من النصارى ينكر القول بألوهية مريم! وأن ما ذكره القرآن لا يمكن أن يثبت! ...بيد أننا نحن المسلمين نسلم تماماً لما ذكره القرآن، ونعتقد جازمين أنه لا يمكن أن يأتي هذا الكتاب العظيم بما ليس له حقيقة في أرض الواقع...ويحاول أهل الكتاب جاهدين؛ أن يشككوا بمصداقية ما جاء به كتاب ربنا المبين، وهيهات أن يفلحوا؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، ولأنه ليس كهيئة كتابهم؛ إذْ قد تكفَّل الله بحفظه من التحريف، وصيانته من التغيير والتبديل، ومن أنْ يَرِدَ فيه ما يخالف الواقع...

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث؛ الذي جعلت عنوانه:

(تأليه الكنيسة الكاثوليكية لمريم . دراسة نقديةٌ مقارنةٌ.)

إنّ على أهل الكتاب أن يعلموا بأن ما قال ربنا عن النصارى من اتخاذهم مريم وابنها إلهين من دون الله؛ هو حق ثابت بلا ريب... إن هذه الدراسة ومثيلاتها نوع من المجادلة لأولئك المعاندين من أهل الكتاب الذين يحاولون الطعن في مصداقية القرآن، والتشكيك بأخباره...وهيهات.

فهذا البحث – إذنْ – يهدف إلى:

١ -إظهار عظمة القرآن الكريم، وأن كل ما أخبر به حقٌ لا مرية فيه.

٢ -أن ما يدعيه النصارى من إنكار تأليه مريم غيرُ صحيح البتة، ولا تسعفه الممارسات، والاعتقادات الكاثوليكية؛ نحو مريم عليها السلام.

٣ -أن النقد لتلك الاعتقادات والممارسات نطق به النصارى أنفسهم.

٤ -إبراز ما مُنِيَ به دينُ النصارى من تحريف وتبديل؛ بل لا يزال سائغاً للتطوير والتغيير على أيدي القسيسين! فحتى زماننا هذا لا تزال العقائد والتشريعات والعبادات والألقاب ...الخ تتوالى على معتنقي الديانة النصرانية.

٥ -إظهار الوسطية التي اختص بها دين الإسلام؛ فلا غلوَّ ولا إجحاف، ولا إفراط ولا تفريط، فقد أعطى الإسلامُ مريمَ عليها السلام المكانةَ اللائقةَ بها، وأقر باصطفائها على سائر نساء العالمين، مع تأكيده على بشريتها، وعبوديتها لله وحده...

الدراسات السابقة

هناك دراسات وأبحاث حول مريم عليها السلام؛ كتبها باحثون مسلمون؛ منها:

(مريم في الكتاب والسنة) لؤلؤ الجفري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة، ١٤٠٤هـ. عدد صفحاتها (٣٥٧) صفحة، ذكرت فيها الباحثة النصوص الواردة في الكتاب والسنة في فضل مريم ومكانتها...وقد اطلعت عليها بعد الفراغ من هذا البحث، وتمثل دراستها الفصل التمهيدي منه.

(عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية) معاذ عليان، نشر: مكتبة النافذة. ويقع في (٢٥٦) صفحة، أكثر فيه المؤلف النقل عن الأرثوذكس الأقباط خاصة، وأراد التأكيد على عبادة مريم موثقة بالصور الفوتوغرافية ...لكن هذا البحث لم يتطرق بشكل كافٍ إلى الدراسة النقدية المقارنة. مع ما بذل فيه المؤلف من جهد، كما أنه لم يتبع فيه منهجاً أكاديمياً...وهناك بحث صغير بعنوان: (مريم ابنة عمران بين اليهودية والنصرانية والإسلام) لغنيم عبدالعظيم. في (٣٩) صفحة. تطرق فيه بشكل مختصر لبعض العقائد المريمية، ولم يوفها حقها بالبحث. فلعله أراد الإشارة فقط...ورأيت بعض الكتب قد تحمل عناوين ملفتة حول هذا الموضوع؛ لكنني بعد أن اطلعت عليها أصبت بخيبة أمل؛ ككتاب: (العذراء مريم وميلاد المسيح بين القرآن والإنجيل) في (١٢٨) صفحة، إذ هو عبارة عن رواية أدبية!!.

أما الكتب التي كتبها النصارى فكثيرة جداً ؛ لا مجال لذكرها هنا ؛ لأن المقصود تلك الدراسات التي بحثت هذا الموضوع بنظرة إسلامية...غير أن ما ذكرته من الكتب وأمثالها، كما كثير من المقالات التي كتبت حول شخصية مريم عليها السلام ومكانتها ؛ لا ترقى إلى وصفها بالبحوث العلمية، التي تخضع للمنهجية والموضوعية، وأؤكد بأن هذا الموضوع بحاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدراسة لدقائقه، وتفصيلاته ؛ فلا يزال يكتنف مسائله كثيرٌ من الغموض، وتثار حول كثير منها عدد من الإشكالات...

خطة البحث

اشتملت خطة هذا البحث على أربعة فصول؛ وهي:

الفصل الأول: مكانة مريم بين القرآن والعهد الجديد.

المبحث الأول: مكانة مريم في العهد الجديد.

المبحث الثاني: مكانة مريم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مقارنة بين مكانة مريم في القرآن، ومكانتها في العهد الجديد.

الفصل الثاني: العقائد المريمية في الكنيسة الكاثوليكية وصلتها بتأليه مريم.

المبحث الأول: البتولية.

المبحث الثاني: الصعود إلى السماء.

المبحث الثالث: سلطانة السماء أو (ملكة السماء).

المبحث الرابع: الحبل بلا دنس.

المبحث الخامس: والدة الإله أو أم الإله.

الفصل الثالث: المجامع الكنسية والفرق المسيحية وتأليه مريم؛ في القرنين الرابع والخامس.

الفصل الأول: مكانة مريم بين القرآن والعهد الجديد

المبحث الأول: مكانة مريم في العهد الجديد

لم تحفل أسفار العهد الجديد بذكر السيدة مريم عليها السلام، ولا يكاد يجد الناظر فيها ما يبرز منزلة مريم عند الله تعالى، ومكانتها عند قومها؛ بل تصورها تلك الأسفار بأنها أمٌّ كغيرها من الأمهات، تشرفت بأن حملت روح الله في أحشائها، ثم ولدته، وأنها لم تكن إلا وعاءً وظرفاً للمخلص العظيم...ولم تذكر أسفار العهد الجديد شيئاً عن نشأة مريم وحياتها، وما اختصت به من الصفات والسجايا التي تؤهلها للمهمة العظيمة المنتظرة.

وبالجملة فليس هناك شيء أكثر تميزاً في الكاثوليكية من تقوى المبجلة مريم العذراء، وهو الأمر الذي تؤكده مجموعة العقائد المريمية التي تدور حول مريم عليها السلام داخل المنظومة العقدية الكاثوليكية، ولكن التساؤلات تدور حول المصادر التي اعتمدت عليها الكنيسة في تقرير هذه السلطة الدينية لمريم فيما يعرف باسم العقائد

المريمية! وهنا يطرح السؤال نفسه: هل أعطى الله تعالى لمريم سلطة دينية تتصل بتقوية مريم في كلمته الموحى بها؟ ... وفي الاثنين وعشرين إصحاحاً من العهد الجديد التي تلي سفر أعمال الرسل فإنه ليس هناك من إشارة إلى مريم. ويوحنا الذي أشار إلى عنايتها بالمسيح لم يشر إليها في أيٍ من رسائله الثلاث، أو في سفر الرؤيا. وعلى الجملة فليس هناك مكان يعطي لمريم أهمية وشرفاً استثنائياً غير عادي في كلمة الله ... وهو الأمر الذي أشارت إليه الموسوعة القياسية الدولية للكتاب المقدس فيما يتصل بمريم من خلال الروايات الكتابية (التعشيرات الكتابية) الخاصة بها.[١]

يقول أوغسطين: "أقوال الكتاب المقدس في العذراء مريم قليلةُ العددِ والأهميةِ ... أجل روي (الحبل البُتُولي) في: لوقا، ومتى؛ ولكن يشدَّدُ فيهما على ميلاد المسيح..."!!.[٢].

وعلى أية حال فإن مريم عليها السلام تأخذ مكانة صغيرة نسبياً في العهد الجديد في مجمله، ولقد ركزت هذه النصوص على اللاهوت والورع التي نسبت هذه النصوص إليها مع الاختلافات العظيمة في الإيمان بذلك من مسيحي لآخر، ومن هنا فمن الضروري التمييز بعناية بين الموضوعية التي تعطيها النصوص والبناءات المتأخرة التي تدور حول مريم عليها السلام من ناحية عقدية[٣].

---

(١) See, Catholic Teaching Examined, Examining Teaching in the Light of Scriptures, By David Riggs, Bible Study Guide, Without date, p.110.

(٢) خلاصة اللاهوت المريمي، ص ٢١، وانظر: المحيط الجامع في الكتاب المقدس، الخولي بولس الفغالي، ص١١٨٤.

(٣) Encyclopedia of Christian Theology, by , Jean. Y Ves, Lacoste, Routlege, New York, 2005, p. 998, Angles A To Z, Edited By, Evelyn Dorotby Oliver and James R. Lewis, Second Edition, Visible Inc. Press, Malaysia, 2008, p. 237.

وبالبحث الدقيق في الأسفار المعتمدة عند جمهور النصارى، والمقدسة لديهم؛ نجد بعض الأحداث المختصرة بعبارات مختزلة، تتحدث عن شخصية مريم عليها السلام، وقصة ولادتها المسيح؛ وسأنقل فيما يلي النصوص كما وردت مرتباً إياها على ما يقتضيه سياق القصة؛ لا على ما ورد في تلك الأسفار؛ لأن كثيراً منها أهمل ذكر مريم تماماً، وبعضها لم يذكرها إلا باقتضاب شديد، ولم أر كإنجيل لوقا الذي أورد قصة البشارة بالمسيح، وقصة الحمل والولادة، مع إهمال كثير من الأحداث، التي تكتنفها إشاراته المقتضبة.

وقد اتفقت سائر أسفار العهد الجديد التي ذكرت أم المسيح ﷺ بأن اسمها: مريم؛ كما سيأتي ذكر عدد من النصوص في سياق قصتها.

إلا أن تلك الأسفار لم تذكر شيئاً عن والدَي مريم. لكنَّ بعضها جعلت من مريم مخطوبة لرجل اسمه: (يوسف النجار) وساقت نسب يوسف هذا إلى داود النبي ﷺ! كما ورد ذلك في: (لوقا: ٢٣/٣ -٣٤) ـ في سياقه لنسب عيسى ﷺ ـ ونصه: " وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ (النجار) بْنِ هَالِي، [٢٤]......بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، [٣٣] بْنِ يَهُوذَا، [٣٤]بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، ...بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ.!. وفيه أيضاً (٢/ ٤ -٥): "[٤]فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، [٥]لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى.".

وهذا - وإن لم يكن فيه ما ينص على نسب مريم، وأنها من سلالة داود - فكونها مخطوبة ليوسف المذكور يؤيد بأنها من سلالة داود النبي ﷺ؛ وذلك بحكم التوراة التي تنص على أن النساء يتزوجن من سبطهن؛ ليثبت به الميراث، ولا تختلط الأسباط. (سفر العدد: ٨/٣٦ -٩ الطبعة العربية ١٨٤٤). وهناك نص آخر في:

(لوقا: ١/ ٦٩) ربما يشير إلى نسب مريم، وأنها من ولد داود ﷺ، فقد جاء على لسان زكريا أنه قال: " ٦٩وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ.".

كما لا يوجد في العهد الجديد شيء ـ ذو بالٍ ـ عن نشأة مريم؛ أو عن حياتها الشخصية والاجتماعية قبل إرسال الملك إليها بالبشارة، كما تقدم. لكن جاءت الإشارة في إنجيل لوقا إلى بعض ما وصفت به مريم من كون الله تعالى أنعم عليها، وأنها مباركة من بين النساء، والنص هو: " ٢٨فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ»(لوقا: ١ /٢٨). ومن ذلك: (سفر الأمثال: ٣١/ ٢٩): "بَنَاتٌ كَثِيرَاتٌ عَمِلْنَ فَضْلاً، أَمَّا أَنْتِ فَفُقْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا".

وأما الحمل والولادة؛ فإن قصة حمل مريم بعيسى ﷺ جاء ذكرها في: (لوقا: ١/ ٢٦ -٣٨) وقبل حصول الحمل يذكر الإنجيل تلك المحاورة التي جرت بين مريم والملك جبرائيل، الذي أرسل إليها من عند الله؛ ونصها ـ كما وردت في الإنجيل المذكور ـ:

" أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، ٢٧إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ."..."فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ»..." فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!»..."فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ"..."هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ»". "فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟»"..."فَأَجَابَ

الْمَلاَكُ ؛ وَقَالَ لَها : «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. وَهُوَ ذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ» "فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَ ذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» "فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ".

وقد كانت ولادة مريم لابنها عيسى في (بيت لحم):

يقول (لوقا: ٢ / ٤ -٧): "فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ ".

وهناك نصوص في العهد الجديد تؤكد أن ثمة علاقة بين مريم ورجل يدعى يوسف النجار!. فجاء في بعضها لفظ: الخطبة، وأن مريم مخطوبة ليوسف النجار، وهي حامل بالمسيح، كما في النص المتقدم: "ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى" (لوقا: ٢ / ٥ ومثله في ١/ ٢٧) ويذكر (متى: ١٦/١) بأن ملاك الرب ظهر ليوسف النجار في الحلم؛ قائلاً: " يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك؛ لأن الذي حُبل به فيها هو من روح القدس" (متى: ١ /٢٠) وفي نص آخر من الإنجيل ذاته سمى يوسف هذا رجلَ مريم: " ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع؛ الذي يدعى المسيح."، وجاء في: (يوحنا: ٤٢/٦) بأن القوم الذين ظهر فيهم المسيح عيسى كانوا يعتقدون بأنه ولد بين أبوين هما: يوسف النجار، ومريم؛ ونصه: " وقالوا: أليس هذا هو يسوع بن يوسف، الذي نحن عارفون بأبيه وأمه؟ فكيف يقول هذا: إني نزلت من السماء؟. ".

فإذا كانت مريم مخطوبة ليوسف النجار، وهذا صريح بنص الإنجيل؛ ويبقى سؤال مهم: هل تزوجت مريم بيوسف هذا بعد إنجابها للمسيح؟ وهل ولدت منه؟ لقد جاء ما يشير إلى هذا في: (متى: ١٣/٥٥) وهو قوله: "أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا"، وجاء في: (أعمال الرسل: ١/١٢ -١٤) بأن مريم كانت تواظب على الصلاة مع تلاميذ المسيح وإخوته.!! ونصه: "حِينَئِذٍ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ، الَّذِي هُوَ بِالْقُرْبِ مِنْ أُورُشَلِيمَ عَلَى سَفَرِ سَبْتٍ. وَلَمَّا دَخَلُوا صَعِدُوا إِلَى الْعِلِّيَّةِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا: بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ وَفِيلُبُّسُ وَتُومَا وَبَرْثُولَمَاوُسُ وَمَتَّى وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسِمْعَانُ الْغَيُورُ وَيَهُوذَا أَخُو يَعْقُوبَ. هؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُواظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ، مَعَ النِّسَاءِ، وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ، وَمَعَ إِخْوَتِهِ.".

وهكذا لم أجد بعد تتبع في كتاب العهد الجديد (بنسخته العربية) ما يمكن أن يعد تبجيلاً أو تعظيماً لمقام مريم عليها السلام، إنما وجدت إشارات إليها بأنها أم المسيح ووالدة المخلص.

كذا جاء في (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٦/١٦): "سلموا على مريم التي تعبت من أجلنا.". ويشير الإنجيل إلى أن مريم بقيت إلى أن صلب المسيح ـ بحسب عقيدة النصارى ـ كما جاء التصريح بذلك في (يوحنا: ١٩/٢٥) "وكانت واقفات عند صليب يسوع، أمه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية ".

وعدم احتفاء الأناجيل بذكر مريم عليها السلام وإبراز مكانتها العلية، ومنزلتها الرفيعة بين نساء العالمين؛ لا يعني أن النصارى لا يعظمون مريم؛ بل قد أخبر القرآن أن من النصارى من يؤله مريم!! كما سيتبين ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث.

لكن المهم هنا هو أن رؤية الكنيسة الكاثوليكية لمريم لا وجود لها في الأناجيل، بل هي رؤية أبو كريفيةٌ للخيال التي جعلها عند الكاثوليك في مكانة أعلى من الملائكة والقديسين.[٤]

المبحث الثاني: مريم في القرآن الكريم

لقد حفل القرآن الكريم بذكر هذه السيدة الجليلة، والمرأة الكريمة، والصديقة الكبرى...فجاء ذكرها باسمها في عدد من الآيات؛ بل حملت اسمها سورة بأكملها؛ إنها (سورة مريم) وعدد آياتها ثمان وتسعون آية، أنزلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام بمكة؛ فكانت من أوائل سور القرآن نزولاً.

ولقد تكرر اسم السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم مراراً؛ فذكرها الله تعالى باسمها في واحدٍ وثلاثين موضعاً، ولم يذكر امرأة باسمها إلا مريم عليها السلام! وهذا يدل ـ بلا ريب ـ على تكريمها وتشريفها والحفاوة بها. وقد ذكر الله تعالى بأنها ابنة عمران؛ كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [سورة التحريم: ١٢].

وذكر الله تعالى عن أمها أنها لما حملت بها قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦] أي: جعلت الحمل الذي في بطني نذراً لعبادتك، وخدمة بيتك. ومعنى: (محرراً) أي: عتيقاً، خالصاً، مفرغاً لعبادة الله؛ لا يشغله شيء من أمور الدنيا.[٥] ثم تضرعت أم مريم إلى الله تعالى أن يعيذ وليدتها من الشيطان الرجيم؛ فقالت: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(٤)See, Mariology: An unrecognized entrée to Ecumenical dialogue, by W. Paul Jones, in " The Journal of Religion", Vol. 44, No. 3, 9 Jul., 1964), p. 212.

(٥) تفسير الطبري، ٥/٣٣٠، وانظر: تفسير ابن عطية ،١/٤٢٤.

ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦] أي: أمنعها وأجيرها بك وذريتها مِنَ الشَّيْطانِ اللعين الطريد...فاستجاب الله دعاءها﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧]

لقد تقبل الله هذه النذيرةَ، قبولاً طيباً، وأنشأها نشأة مباركةً؛ حتى أصبحت حسنةً في خَلقها وأخلاقها، وتربت في عين الله تعالى، وترعرعت على الطاعة والعبادة، فصارت من أكمل الناس وأفضلهم وأقربهم إلى الله تعالى.(٦) وقد كان من تدبير الله تعالى، ورعايته التامة لمريم عليها السلام؛ أن جعلها في كنف رجل من صفوة خلقه؛ إنه نبي الله زكريا عليه السلام قال سبحانه: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ولم تكن إلا بعد منازعة ومخاصمة بين قومها؛ لم تنته إلا بالاقتراع؛ ليبين سبحانه للناس عظم قدر مريم عند قومها، قال الله سبحانه ـ مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ـ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٤].

خصائص مريم في القرآن

لقد اختص الله تعالى مريم عليها السلام بخصائص عظيمة، وفضَّلها بفضائل جسيمة؛ هي:

الأولى: اصطفاؤها على نساء العالمين

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٢] فمعنى قوله: ﴿ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ أي اختارك لطاعته، واجتباك لما خصك به من كرامته.(٧) وكرر الاصطفاء مرة بعد مرة؛ للتأكيد

(٦) تفسير الطبري (٥ /٣٤٤) وانظر: زاد المسير، ١ /٣٧٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري، ٥ /٣٩٢.

على جلالة مريم، وفضلها على النساء.(٨) وقيل: "تكرر فعل ﴿ ٱصۡطَفَىٰكِ ﴾ لأن الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي، وهو جعلها منزهة زكية، والثاني بمعنى: التفضيل على الغير. فلذلك لم يُعَدَّ الأولُ إلى متعلق. وعُدِّيَ الثاني".(٩)

الثانية: وصفها بأنها صديقةٌ

قال الله تعالى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾ [سورة المائدة: ٧٥] وقال: ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [سورة التحريم: ١٢] والصديقة: صيغة مبالغة، إذْ بلغت في الصدق مبلغاً عظيماً؛ فكانت صادقة مع ربها، مصدِّقة لكل ما يأتيها من عنده سبحانه.(١٠)

الثالثة: تقبل الله لها بقبول حسن

قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧] فأخلصت مريم العبادة لربها، وأقبلت خاضعة خاشعةً؛ قال الله تعالى عنها: ﴿ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١٢].

الرابعة: طهارتها

قال الله تعالى: ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٢].

لقد كان من خصائص هذه السيدة الكريمة أن الله تعالى طهرها، وأمر ملائكته الكرام أن يخبروها بذلك، هكذا ذكر الله تعالى أنه طهر مريم تطهيراً مطلقاً؛ وتعددت عبارات المفسرين في المراد بهذا التطهير...فقيل: طهر دينها من الريب والأدناس التي في

(٨) تفسير ابن كثير، ٢ /٣٩.

(٩) التحرير والتنوير، تفسير ابن عاشور، ٣ /٢٤٤.

(١٠) تفسير القرطبي ، ٨٧/٥، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، لسراج الدين الحنبلي، ٥ /٢١٦.

أديان كثير من نساء بني آدم. وقيل: المراد تطهيرها عن التهمة الفاسدة؛ التي اتهمها به قومها حين جاءت بعيسى تحمله. وروي عن بعض السلف بأن المراد: تطهيرها من الحيض والنفاس، ومن مسِّ الرجال.(١١)

وفي نظري أن هذه الأقوال التي ذكرها المفسرون في المراد بالتطهير لا مانع من اجتماعها كلها في مريم، فاللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها؛ بل المراد به أعظم؛ لأن الله تعالى ذكره مطلقاً من غير تقييد؛ فالأولى تركه على إطلاقه، فيكون تطهيرها من كل ما ينقص النساء في دين أو خلق؛ وأما تطهيرها من الحيض والنفاس فلا يبعد؛ لأنها منقطعة للعبادة، فلا يعرض لها ما يمنعها من هذه الوظيفة الكريمة التي نُذرت لها منذ أن كانت جنيناً في بطن أمها.

الخامسة: حصانتها

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ [سورة الأنبياء: ٩١] وقال تعالى: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ [سورة التحريم: ١٢] هكذا شهد الله تعالى لمريم بالعفاف، وأنها حصَّنت وصانت فرجها عن الرجال مطلقاً، فلم يمسَّها رجل بزواج شرعي ولا بغيره؛ كما قالت عليها السلام: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ [سورة مريم: ٤٥] وقد كان التبتل إذ ذاك مشروعاً للنساء والرجال.(١٢)

السادسة: أنها آية من آيات الله

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩١] فجعل الله تعالى مريم وابنها آية للعالمين، يُتحدث بها جيلاً بعد جيل، ويعتبر بها

---

(١١) تفسير الطبري، ٣٩٢/٥، و: زاد المسير، ٣٨٧/١، و: تفسير الرازي، ص ٢١٩٨ و: تفسير أبي السعود، ٣٥/٢.

(١٢) روح المعاني للألوسي، ٨٨/١٧.

المعتبرون، ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطان الله، وقدرته على ما يشاء.(١٣) والمراد بالآية هنا: أنها جاءت بولد ولم يمسسها بشر!.

ولا ريب في أن ولادة مريم دون أن يمسها ذكر أعظم آية تفردت بها مريم واختصت بها من بين سائر نساء العالمين.

السابعة: ما اختصها الله به من الكرامات

الكرامة الأولى: أن الملائكة الكرام كلمتها ونادتها باسمها، وتمثَّل لها جبريل بصورة بشر؛ تحاوره وتجادله: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ الآيات [سورة آل عمران: ٤٢] وقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٧].

فجاءها الملك مخبراً باصطفاء الله لها، وتطهيرها، وتفضيلها على نساء العالمين.

وجاءها معلماً يأمرها بأمر الله بأن تلزم طاعة ربها قانتةً ساجدةً وراكعةً.

وجاءها الملك مبشراً لها بأن تضع مولوداً كريماً نبياً رسولاً.

الكرامة الثانية: أنه كان يأتيها الطعام والشراب من عند الله جل وعلا: قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[سورة آل عمران: ٣٧].

لقد كانت مريم منقطعة للعبادة لا تنصرف من متعبَّدها، فقد مرَّ أن الله تعالى أخبر أنه تقبلها نذيرة له سبحانه. وفي هذه الأثناء كان يأتيها طعامها من عند الله تعالى، وهذه آية لها وكرامة من كراماتها، وكان نبي الله زكريا يدخل عليها في محرابها الذي

---

(١٣) تفسير الطبري، ٣٩١/١٦.

تتعبد فيه ؛ فيرى عندها طعاماً فيسألها : من أين لك هذا الطعام؟ فتجيبه بـ : أنه من عند الله. فيتعجب زكريا من ذلك الرزق! إما لكونه رزقاً لم يكن معهوداً للناس في ذلك الزمان ، أو ثماراً في غير الوقت الذي تجنى فيه عادةً. والمقصود أن زكريا كان يرى أن الرزق الذي عند مريم ليس من جلب البشر!

"والذي يُفهم من سياق القرآن : أن الله أنبت لها ذلك الرطب على سبيل خرق العادة ، وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة ، ولم يكن الرطب والنهر موجودين قبل ذلك! سواء قلنا إن الجذع كان يابساً أو نخلةً غير مثمرة ، إلا أن الله أنبت فيه الثمر وجعله رطباً جنياً ، ووجه دلالة السياق على ذلك أن قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ يدل على أن عينها إنما تقرُّ في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة."(١٤)

الكرامة الثالثة: أنها جاءت بولد دون أن يمسها ذكر: قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥-٤٧] وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩١] وقال جل وعلا : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [سورة مريم : ١٦-٢٣].

لقد أراد الله إكرامها بأن تكون مظهرَ عظيمِ قدرته في مخالفة السنة البشرية ؛ لحصول حمل أنثى دون قربان ذكر ، ليرى الناس مثالاً من التكوين الأول ؛ كما أشار

(١٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ٣ /٣٩٧، وانظر: المحرر الوجيز، ١ /٤٢٦.

إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١٥) أرسل الله تعالى جبريل إلى مريم في صورة بشر سوي حاملاً بشارة الله لها؛ فاعتزلت مريم من أهلها، وانفردت عنهم في مكان شرقي محرابها الذي تتعبد فيه "قيل: إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس، لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيراً مما يلي المغرب"(١٦) واتخذت من دون أهلها ستراً يسترها عنهم وعن الناس، فبينا هي كذلك؛ أرسل الله إليها جبريل، فتشبه لها في صورة رجل معتدل الخلق، حسن الصورة، فلما رأته خافت وفزعت، وظنت أنه رجل يريدها على نفسها...فابتدرته قائلةً: ﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [سورة مريم:١٨] فرد عليها جبريل قائلاً: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٩] فقالت ـ وهي في غاية العجب ـ: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ إنها تستبعد أن تلد غلاماً، ولم يمسسها ذكر بحلال، ولم تك زانيةً. قال جبريل: ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ يقول: هكذا الأمر كما تصفين، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغياً، ولكن ربك قال: ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ أي: خلقُ الغلام الذي قلتُ إني أهبه لك؛ عليَّ هينٌ، لا يتعذر عليَّ خلقه، وهبته لك من غير زوج!. ثم قال: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: ولكي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلقي أهبه لك ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: رحمة منا لك، ولمن آمن به ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ يقول:

---

(١٥) التحرير والتنوير، ١٧ /١٣٨.

(١٦) تفسير الطبري، ١٥ /٤٨٤.

وكان خلقه منك أمراً قد قضاه الله، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك.[(١٧)]

فاستسلمت مريم لأمر ربها، فنفخ جبريل في جيب درعها، نفخ فيها جبريل نفخة من روح الله تعالى، فخلق الله بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام [(١٨)] فالحمل الذي كوِّن في رحمها حمل من غير الطريق المعتاد، فقد كان بنفخة في درعها، وذلك أعرق في مخالفة العادة؛ لأن خرق العادة تقوى دلالته بمقدار ما يضمحل فيه من الوسائل المعتادة.[(١٩)] فلما وقع الحمل لمريم اعتزلت في مكان بعيد عن قومها، فجاءها مخاض الوضع، فولدت نبي الله عيسى عليه السلام.

الكرامة الرابعة: ما كان لها عند الولادة من تفجير الماء وإسقاط الرطب: قال الله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ ...إلى قوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [سورة مريم: ٢٥ -٣٠] قيل: ناداها الملك من تحت النخلة؛ قائلاً: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [(٢٠)] وقيل: المنادي عيسى؛ لما وضعته. ورجحه الإمام ابن جرير (ت٣١٠هـ) ويؤيده قراءة (مَن) - بفتح الميم - على أنها اسم موصول، وفتح تحتها على أنه ظرف جعل صلة، والمعني بالموصول هو الغلام الذي تحتها. وهذا إرهاص لعيسى وكرامة لأمه عليهما السلام.[(٢١)] وقيد ﴿مِن

(١٧) انظر: تفسير الطبري، ١٥ /٤٨٧، و: تفسير القرطبي، ٨٩/١١.

(١٨) انظر: تفسير الطبري، ١٦ /٣٩١، و: تفسير البغوي، ٣ /٣١٦.

(١٩) التحرير والتنوير، ١٧ /١٣٨.

(٢٠) قال به جماعة من السلف، وإليه ذهب جمع من المفسرين، انظر: تفسير القرطبي، ٩٤/١١.

(٢١) تفسير الطبري، ٥٠٥/١٥، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي، ١٧٤/٢١، وقال إنه أقرب القولين. وانظر:تفسير ابن كثير، ٢٢٣/٥.

تَحۡتَهَآ ﴾ لتحقيق ذلك، ولإفادة أنه ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة وتصويرا لتلك الحالة التي هي حالة تمام اتصال الصبي بأمه.(٢٢) و (السَّري) قيل: هو الجدول من الماء؛ جرى تحت قدميها بعد ألم يكن. وهذا قول الجمهور. يؤيده قوله بعده: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾.(٢٣) وقيل: السَّري: عيسى؛ لأن السري لفظ يطلق على الرجل عظيم الخصال.(٢٤) ثم أمرت بهز جذع النخلة إليها بقوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ وضمَّن﴿وَهُزِّيٓ ﴾ معنى: قربي أو أدني، فعدي بـ (إلى) أي: حركي جذع النخلة وقربيه؛ يَدْنُ إليك، ويَلِن بعد اليُبس، ويسقط عليك رطباً، طرياً طيباً. ثم أمرت مريم إن هي رأت أحداً من الناس أن تصمت وتشير بالقرينة بأنها نذرت لله صوماً، قال الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ "وأطلق القول على ما يدل على ما في النفس، وهو الإيماء إلى أنها نذرت صوماً مجازاً بقرينة قوله: فلن أكلم اليوم إنسياً. فالمراد: أن تؤدي ذلك بإشارة إلى أنها نذرت صوماً؛ بأن تشير إشارة تدل على ذلك.(٢٥) فأتت مريم قومها تحمل على يدها ابنها عيسى، معلنة به غير ساترة له؛ لعلمها أن الله تعالى سيبرئها مما يُتهم به مثل من جاء في حالتها.(٢٦)

(٢٢) التحرير والتنوير، ١٦ /٨٧.

(٢٣) انظر: تفسير القرطبي، ٩٤/١١، و: تفسير ابن كثير، ٢٢٣/٥.

(٢٤) قال به بعض السلف، انظر: المصدر السابق، وانظر: المحرر الوجيز، ١١/٤.

(٢٥) التحرير والتنوير، ١٦ /٩٣، وانظر: تفسير ابن كثير، ٥ /٢٢٥.

(٢٦) التحرير والتنوير، ١٦ /٩٤.

الكرامة الخامسة: تكلُمُ عيسى في المهد: قال الله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩ -٣٣].

لا ريب أن تكلم عيسى وهو في المهد كان كرامة لأمه مريم، وأعظم برهان على صدقها وعفتها؛ وذلك أن مريم لما وضعت عيسى، وأتت به قومها تحمله، لقيها القوم بالإنكار الشديد، وقذفوها بالزنا، وارتكاب الفاحشة مع كونها من بيت كريم، ولم يتأدب هؤلاء في وصف والديها؛ بل نعتوهما بالصفات السلبية، فقالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ وهذا فيه سوء أدب بيِّن! وقد علمت مريم بأن هذا سيحدث لا محالة، لذا حزنت حزناً شديداً، وضاقت بها الدنيا بما رحبت لما جاءها مخاض الولادة؛ حتى تمنت الموت قبل هذه الحادثة، وأن الناس نسوها؛ فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ وقد قيل ـ كما تقدم ـ: بأن الذي ناداها هو ابنها عيسى لما ولدته، وهذا أول كلام ينطق به، فتشجعت مريم حينئذٍ، وجاءت به قومها تحمله، فلاموها وأنبوها، وقالوا لها: من أين لك هذا الولد؟ فأشارت مريم إلى وليدها! فظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم. فأنطق الله عيسى لها متكلماً عن أمه! فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾...الآيات.

وهكذا أجرى الله تعالى لأَمَتِهِ الصديقةِ مريمَ عليها السلام من الكرامات ما لم يكن لأحد من نساء العالمين، ولذا احتفى القرآن بقصتها وقصة ابنها احتفاء عظيماً، وأورد قصتيهما في عدد من السور بأساليب مختلفة.

هذه منزلة مريم عليها السلام في القرآن الكريم، وهذا قدرها وشأنها في اعتقاد المسلمين.

وقد مر الكلام على منزلة هذه السيدة الجليلة في العهد الجديد الذي يقدسه النصارى.

فما أوجه المقاربة والمفارقة بين المسيحية والإسلام في الموقف من مريم عليها السلام؟

هذا ما سنتطرق إليه في المبحث التالي.

المبحث الثالث: مقارنة بين مكانة مريم في القرآن، ومكانتها في العهد الجديد

إن من أمعن النظر في نصوص (العهد الجديد) من الكتاب المقدس لدى النصارى، ونظر في نصوص القرآن الكريم؛ وقارن بينهما بموضوعية تامة ـ بعيداً عن التعصب المقيت والتقليد الأعمى ـ فسيوقن ـ بلا ريب ـ في أن لا وجه للمقارنة بين مكانة مريم في العهد الجديد ومكانتها في القرآن العظيم؛ فالفرق كبير والبون شاسع...

وسأعرض فيما يلي أبرز ما يمكن أن يذكر من أوجه المقارنة بين العهد الجديد، والقرآن الكريم؛ وذلك في النقاط التالية:

أولاً: ما قبل الحمل بعيسى وولادته

فالعهد الجديد: لم يذكر مريم إلا كونها أمًّا للمسيح، ولذا لم يشر إلى حياتها قبل ولادتها لابنها عيسى ﷺ ولا إلى نشأتها، ولا إلى شيء من هذا؛ لا من قريب ولا من بعيد!

لقد أهمل العهد الجديد ذكر مريم ولم يحفل بها بشيء، كما أقر أحد علماء النصارى بذلك فقال: "أقوال الكتاب المقدس في العذراء مريم قليلةُ العددِ والأهميةِ ... أجل روي (الحبل البُتُولي) في: لوقا، ومتى؛ ولكن يشدَّدُ فيهما على ميلاد

المسيح..."!(٢٧) ويقول الآخر: "إن قلة المعلومات الإنجيلية حول مريم، والطابع العجيب لأناجيل الطفولة في متى ولوقا؛ أثارا بعض الشك في تأكيدات أو عقائد اللاهوت المريمي، كما طرحا تساؤلاً حول الأساس الكتابي في الواقع توسع هذا اللاهوت منذ تدوين العهد الجديد. لاحظ بولس الأصل الداودي ليسوع (رو: ١ : ١ -٤) دون أن يقول شيئاً عن نسل مريم الذي يتماهى مع نسل يسوع ..."(٢٨)

فكأن مريم لم تكتسب منزلةً عليَّةً ولا شرفاً إلا أثناء حملها وولادتها فحسب...

أما القرآن الكريم: فقد أكثر من ذكر السيدة مريم عليها السلام؛ وجعل ذلك من خصائصها حيث لم يذكر غيرها من النساء باسمها.

ذكرها القرآن مخبراً عن حالها، معظماً لشأنها، مسترسلاً في الحديث عن قصتها؛ منذ أن حملتها أمها؛ ثم دخولها في كفالة نبي الله زكريا عليه السلام إلى أن ولدت ابنها عيسى عليه السلام وما جرى لها بعد الولادة من الكرب والشدة؛ وكيف أنجاها الله من ذلك بما أجرى على يديها من الكرامات الباهرات...

لقد أخبرنا القرآن بأن الله تقبلها نذيرة؛ وهي لا تزال جنينةً في بطن أمها...

وأعلمنا سبحانه أنه أنبتها نباتاً حسناً.

ولما ترعرعت وكبرت صارت في رتبة الصديقين.

فوصفها ربنا جل وعلا بالصديقة، فصدَّقت بكلمات ربها وكتبه. وكانت من القانتين.

وهذا كله لم تذكره أسفار العهد الجديد، بل ولا حتى الإشارة إليه!!

(٢٧) الأب/ أوغسطين دوبره، في: خلاصة اللاهوت المريمي، ص٢١.

(٢٨) الخولي/ بولس الفغالي، في: المحيط الجامع في الكتاب المقدس، ص١١٨٤.

ثانياً: اصطفاء مريم وتفضيلها

وهذا جانب مهم في حياة السيدة مريم ؛ لم يُتطرق إليه في العهد الجديد.!

فلم يأت في أسفاره العديدة ما يشير إلى أن الله تعالى اصطفى مريم، واختارها لطاعته، والقيام بخدمة بيته المقدس، ولم يزد العهد الجديد على أن أشار ـ بعبارات مختزلة ـ إلى كونها مختارة من عند الرب سبحانه لتكون أمًّا للمسيح...!!

بينما يخبرنا القرآن الكريم بأن الله تعالى قد اصطفى مريم بذاتها، وفضلها بشخصها على نساء العالمين جميعاً، وأنه سبحانه جعلها طاهرةً نقيةً من الأدناس والأقذار؛ التي تصيب النساء، وطهرها كذلك من كل خلق دنيء وسجية مذمومة...

ويخبرنا القرآن بأن الله تعالى حفظها منذ ولادتها من الشيطان الرجيم؛ فليس للشيطان عليها من سبيل...

ويخبرنا القرآن بأن الله تعالى تقبَّل مريم عليها السلام بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً...

وكذا يخبرنا القرآن بأن الله تعالى جعل مريم عليها السلام في كفالة نبيه زكريا عليه السلام...

لقد جاء القرآن بعبارة جزلة تتضمن أعظم معاني الاصطفاء والاختيار؛ في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وأين هذا من الإشارة المقتضبة في إنجيل (لوقا) وهو قوله: "الرب معكِ، مباركة أنت في النساء" إذ إنَّ هذه العبارة لا تدل على تفضيلها على سائر النساء؛ بل تدل على أنها مباركة فحسب، والنساء المباركات من الله من المؤمنات الصالحات كثير. وأخبرنا القرآن ـ أيضاً ـ بأن الله سبحانه رباها تربية إيمانية، لم تحض بها امرأة من البشر قاطبةً؛

حيث أرسل إليها ملائكته البررة يأمرونها بدوام الطاعة لربها، وطول القنوت؛ وكثرة السجود والركوع لله سبحانه، وملازمة الصالحين...وهكذا تنادي الملائكة السيدة مريم باسمها؛ فتقول: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

وليس في العهد الجديد ما يشير إلى هذا مطلقاً.!

فليس في أسفاره ما يدل على أنها كانت عابدة قانتةً صالحةً، قد نشأت في رعاية الرب وعنايته؟

ثالثاً: ما جرى لمريم من الكرامات

أهملت الأناجيل وأسفار العهد الجديد ذكر الكرامات التي أجراها الله لمريم عليها السلام!! إلا ما كان من تكليم جبريل عليه السلام لها...

بينما يخبرنا القرآن بكرامات أخرى أجراها الله تعالى لهذه السيدة الجليلة.

كما في قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ فالطعام والشراب يأتيانها دون تدخل البشر، حتى تعجب نبي الله زكريا من هذا الأمر!. مما يدل على أن ما كان يأتيها من الرزق إنما هو كرامة من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

ويذكر القرآن كرامة أخرى لمريم عليها السلام؛ وقعت حين جاءها مخاض الولادة بعيسى عليه السلام حيث حفتها رحمة أرحم الراحمين؛ فآواها؛ وأطعمها الرطب الطري، وأجرى لها الماء، فطعمت وشربت، وأيقنت أن الله معها: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾.

وكرامة أخرى عظيمة يذكرها القرآن الكريم وتهملها الأناجيل وأسفار العهد الجديد! وهي: ما كان من تكلُّم عيسى عليه السلام وهو في المهد؛ قال الله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾

الآيات. إن هذا لمن أعظم الكرامات لمريم؛ لأن كلام عيسى وهو صبي في المهد؛ كان برهاناً قاطعاً على عفتها، وبراءتها مما رماها به قومها، واتهموها به من الزنا؛ في قولهم: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾.

هكذا يصرح القرآن العظيم بعفة السيدة مريم، وبراءتها من كل ريبة؛ بخلاف العهد الجديد؛ الذي لم يشر إلى ما ترتب على حملها في تلك الصورة الغريبة على البشر، وإتيانها بمولود من غير زوج!.

لقد أهملت الأناجيل وأسفار الكتاب المقدس لدى النصارى هذه الحادثة؛ فهل كان هذا مقصوداً؟ وهل كان في اعتقاد كتاب تلك الأناجيل والأسفار بأن أحداً لا يشك في إتيان الملك إلى مريم وأن روح القدس قد حل عليها؛ كما يقول إنجيل لوقا!؟ إذنْ السؤال المتبادر بعد ولادة مريم بهذه الصورة الغريبة؛ هو: من أين وكيف جاءت بهذا المولود؟

هنا يحسم القرآن هذه القضية؛ فيذكر ما أكرم الله به هذه السيدة من إنطاق رضيعها بكلمات عظيمة؛ يبين فيها أنه نبي مرسل من عند الله آتاه الكتاب وجعله مباركاً...

ويذكر القرآن بأن يهودَ رموا مريم والدة المسيح بالزنا! فوبخهم الله وأنكر عليهم ذلك؛ وجعله من جملة كفرهم وعنادهم؛ بقوله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٥٦].

رابعاً: حصانة مريم

لقد صرح القرآن بحصانة مريم وعفافها، وأنها لم يمسّها بشر؛ لا بحلال ولا بحرام: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ لقد شهد لها القرآن الكريم بالعفاف،

وأنها صانت فرجها عن الرجال مطلقاً، فلم يمسَّها رجل بزواج شرعي ولا بغيره؛ كما قالت: ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾.

أما كتاب النصارى المقدس عندهم؛ فخُلوٌّ من هذا الوصف الظاهر القاطع لكل ريبة أو شك.

بل على العكس من ذلك! إذْ نجد من العبارات المصرحة بأن مريم كانت على علاقة برجل يقال له: يوسف النجار!! وأنها كانت مخطوبة له! وأنه رجل مريم ...الخ.! بل هناك من العبارات ما تؤكد بأن ليوسف النجار أربعة أبناء هم إخوة لعيسى!! كما مر في إنجيل متى ويوحنا وفي أعمال الرسل. وأصرحها ما ورد في: (لوقا: ٤٨/٢): " وقالت له أمه: يا بني لم فعلت هكذا هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذَّبين"!. بل يصرح صاحب كتاب: (المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم) بأنه قد جاء: "في متى ولوقا معاً: مريم هي زوجة يوسف"!.

ويا ليت أسفارهم صرحت بزواج مريم من يوسف النجار بعد ولادتها لعيسى لكان الأمر هيناً، بل تنكر طوائف من النصارى زواجهما، معتقدين أن مريم بقيت عذراء. !! كما سيأتي في الفصل الثاني؛ وهذا هروب منهم إلى مستنقع الظن الآثم الذي كان في نفوس يهود، والذي صرح القرآن الكريم بإنكاره أشد الإنكار، وجعله من جملة كُفر اليهود وعنادهم. فهذا إنجيل (متى) يصرح بأن يوسف النجار لم يعرف مريم إلا لما ولدت ابنها عيسى؛ ونصه: "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعي اسمه عيسى" (متى: ١ : ٢٥).

فما المراد بهذه المعرفة؟!!

هل هي المعرفة التي عبر عنها الكتاب المقدس بين آدم وحواء؛ كما في (سفر التكوين: ١/٤): "عرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين" فهل يمكن أن تحمل

وتلد بمجرد المعرفة.!؟ يقول أحدهم: "الجنس إذا أخذ على حقيقته ليس مجرد لهو أو تنفيس! إنما هو نمط من التواصل العميق بين كائنين، به ينفتحان كلياً أحدهما على الآخر ويتعارفان حميميًّا؛ لذا يستعمل الكتاب المقدس كلمة "عرف" للإشارة إلى العلاقة الجنسية."(٢٩) ولذا فإن البروتستانت التزموا ظاهر هذا النص؛ فقالوا بزواج يوسف من مريم! وأنكر ذلك الكاثوليك والأرثوذكس؛ وتحيروا في هذه العلاقة التي أثبتها الإنجيل.

فأي علاقة بين مريم ويوسف النجار إن لم تكن علاقة زواج شرعي؟

كما أن القرآن لا يذكر عيسى منسوباً إلا إلى مريم؛ عيسى بن مريم، بخلاف الإنجيل الذي نسبه أكثر من مرة إلى يوسف النجار!!

وسيأتي مزيد من التوضيح لهذه العلاقة المزعومة بين مريم ويوسف النجار في الفصل الثاني من هذا البحث؛ في الكلام على البتولية.

إن الإنسان ليملكه العجب من هذا التفاوت العظيم، والفرق الشاسع؛ بين مكانة مريم عليها السلام ومنزلتها في القرآن الكريم؛ ومكانتها في العهد الجديد.

ويزول العجب إذا ما اعتقدنا بأن القرآن الكريم كلام الله المنزل، ووحيه المحفوظ من التحريف والتبديل، بخلاف كتاب النصارى المقدس لديهم؛ الذي سطرته أيدي أناس يكتفي النصارى بأنهم ملهمون!.

---

(٢٩) موسوعة المعرفة المسيحية، ليون عبدالصمد (الأسرار. سر الزواج) ص ٣٥.

الفصل الثاني: العقائد المريمية في الكنيسة الكاثوليكية وصلتها بتأليه مريم

المبحث الأول: البتولية

مفهوم (البتولية) عند الكاثوليك:

البتولية في المصطلح الكاثوليكي تعني بقاء المرأة على عذريتها مدة حياتها.

وهذا ما يعتقده النصارى الكاثوليك في مريم عليها السلام من أنها لم تتزوج، ولم يغشاها رجلٌ، وقد ولدت عيسى ﷺ ولم يمسسها بشر...[(٣٠)] فهي بتولٌ قبل ميلاد عيسى، وأثناءه، وبعده.[(٣١)]

ويرى الكاثوليك بأن هذه العقيدة (البتولية الدائمة) مبنية على نصوص وردت في العهد الجديد، ويقولون بأن: "بتولية مريم هي مُعطى موضوعي في الكتاب المقدس؛ لا يقبل أي شك"[(٣٢)]

بتولية مريم قبل ولادتها للمسيح:

يصف الكتاب المقدس لدى النصارى مريم بـ (العذراء) ...

(متى: ١/ ٢٣، ١٨) "أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" ... «هُوَ ذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا." (لوقا: ١/ ٢٦ -٢٨) "وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ. إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ

---

(٣٠) انظر: معجم اللاهوت الكتابي، أنطونيوس نجيب وآخرون، ص١٤٥ ، ٧٢٧.

(٣١) انظر: مورد العابدين، أنطونيوس خريش، ص٤٩٣، و: دوام بتولية العذراء، الأنبا تكلا، ص١١، ٢٠١٠.

(٣٢) مريم أم الرب ورمز الكنيسة، ص٣٥.

الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ". وفي قصة البشارة (لوقا: ١/ ٣٤): "فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟".

أما لقب (بتول) فيرى الكاثوليك بأنه قد جاءت الإشارة إليه في رواية القديس يوحنا التي تبدو أكثر تماسكاً: (يوحنا: ١/ ١٣) "وهو ليس من دم، ولا من رغبة ذي لحم، ولا من رغبة رجل، بل الله ولدَه" . "ومهما كانت هذه الترجمة فهي مرضية، وتعبر تماماً عن معنى بتولية مريم. مريم بتول لتثبت أن الله الآب هو الذي ولد المسيح ...الله وحده في تصميمه الأزلي أعدَّ مريم منذ الأزل ليحل فيها، ومنها يلد ابنه الوحيد ..."![٣٣]

البتولية أثناء الولادة وبعدها:

عقيدة (الدائمة البتولية) هكذا يعتقد الكاثوليك بأن مريم قد ولدت عيسى وبقيت بتولاً، وتؤكد تعاليم كنيستهم بأن مريم ظلت عذراء عند ولادتها، وأن حملها قد حدث بطريقة إعجازية، دون مساس ببتوليتها، وخرج منها ابنها دون عناء أو ألم، ومن غير أن يحدث لها ما يحدث لسائر النساء عند الولادة.

ويؤكد أوغسطين لاتور بأن مفهوم (الدائمة البتولية) يعني أن مريم حملت حملاً بتوليًّا؛ أي من غير زرع رجل، ولكن من روح القدس...[٣٤] ويقول: "بقيت مريم عذراء بعد الولادة؛ أي لم تلد أولاداً، لا بعد ولادتها ليسوع فحسب؛ بل لم يقم وصال بينها وبين رجل! وهذا متضمن في القول (دائمة البتولية). ولم يُعترض على ذلك عامةً من القرن الرابع فما بعده."[٣٥]

---

(٣٣) المصدر السابق، ص٤١.

(٣٤) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٧١.

(٣٥) المصدر السابق.

ويقول أحدهم بأن عقيدة (الدائمة البتولية) لا يمكن التأكيد بشكل قطعي على وضوحها في نصوص العهد الجديد؛ إلا أن بعض مفسري الكتاب المقدس يؤكدون عليها استناداً لرواية البشارة عند لوقا بأن مريم قررت البتولية!.(٣٦) ووردت هذه العقيدة عند الآباء الأقدمين؛ كما في المجمع القسطنطيني الثاني (المسكوني الخامس) المنعقد في ٥٥٣م فقد جاء في القانون الثاني: " إذا لم يعترف أحد بميلادَي ابن الله؛ الأول من الآب قبل الدهور؛ وهو ميلاد لا زمني ولا جسدي، والآخر في الأيام الأخيرة وهو ميلاد الذي نزل من السماء وتجسد في مريم القديسة المجيدة، أم الله الدائمة البتولية، وولد منها؛ فليكن ملعوناً"(٣٧)

وبعض النصارى يرون أن النص الذي ورد في سفر حزقيال؛ وهو قوله: " فقال لي الرب: هذا الباب يكون مقفلاً، ولا يدخل منه رجل؛ لأن الرب إله إسرائيل قد دخل منه، فيكون مغلقاً" (حزقيال ٢ / ٤٤) فيقولون: إن الباب المذكور في هذه النبوءة هو رحم العذراء! حيث مكث المسيح تسعة أشهر.

كما أن بعض الكاثوليكيين يستمسك بلفظة (العذراء) التي وردت في كتابهم المقدس، ويرى أنها كافية في الدلالة على دوام البتولية لمريم عليها السلام فيقول أحدهم: "هذه الكلمة (عذراء) أو كلمة (ALMA) باللغة العبرية ـ والتي استخدمها الوحي الإلهي على لسان إشعيا ـ تعني فتاة صغيرة (بنت) عذراء وهي لم تستخدم من قبل لوصف امرأة متزوجة وهذه أول مرة تستخدم لوصف فتاة صغيرة. فسفر التكوين يصف رفقة قبل أن تتزوج بإسحق "بكراً لم يعرفها رجل" (سفر التكوين: ٢٤/١٦) وكان على أشعيا أن يختار ما بين الكلمتين فقط المتوافرتين في ذلك الوقت، واحدة

---

(٣٦) أم الرب ورمز الكنيسة، ص٤٦.

(٣٧) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٧١.

تصف امرأة صغيرة قبل زواجها ، والأخرى التي ترتبط بالزواج والتي تحمل معنى العذرية. والجدير بالذكر أن كلمة ألـما جاءت لغويا بـما يفيد استمرار البتولية لهذا لـم تترجـم "عذراء" بل "العذراء" لتصف والدة عمانوئيل كعذراء دائـمة حتى بعد إنجابهـا الطفل. وعند ترجمة النص العبري إلى اليونانية استخدمت الكلمة اليونانية "بارثينون" والتي تعني دائما عذراء كما جاء في إنجيل متى." ثم يؤكد على أن الإيمان المسيحي ينص على دوام البتولية فيقول: "وبحسب إيماننـا الـمسيحي فإن مريم هي "الدائـمة البتوليـة" أي أن مريم بتول قبل الولادة وفى الولادة وبعد الولادة. بتول قبل الولادة إذْ حبلت بيسوع المسيح دون معرفة رجل، وبتول فـي الولادة إذ إنهـا ولدت يسوع وبقيت بتولاً ، وبعد أن ولدتـه لـم يكن لها علاقة مع أي رجل..."(٣٨)

هكذا يؤكد الكاثوليك بأن مريم عذراء قبل ولادة المسيح وبعد ولادته.(٣٩)

ويوضح (جرج ليتمر) بأن عقيدة الدائمة البتولية عند الكنيسة الكاثوليكية، لا يمكن أن يستدل عليها بالاعتماد على الكتاب المقدس وحده؛ بل إن فكرة البتولية الدائمة ـ كما يقول ـ ليست موجودة في الكتابات المقدسة؛ ويؤكد بأن اللاهوتيين الكاثوليك الرومان قد عُنوا بهذه العقيدة؛ التي تضمنت ثلاث مراحل: ما قبل ولادتها لعيسى، وأثناء الولادة، وبقاؤها على العذرية بقية حياتها... ثم يوضح بأن فكرة الدائمة البتولية تطورت عبر التاريخ النصراني؛ وفي الكنيسة الكاثوليكية على الأخص؛ فيقول: بأن "هذا الاعتقاد لم يأت بكامله مرة واحدة، ولكنه على الأحرى تطور بصفة تدريجية لمدة تزيد على مئات الأعوام...وفي التطور الذي حدث مبكراً في

---

(٣٨) انظر: من هي مريم العذراء؟ للشماس نبيل حليم يعقوب، ٢٠١٠، منشور في: http://www.coptcatholic.net بتاريخ ٢٠١٢.١.٣١.

(٣٩) Under the Ban, By, Dr. Mivart. Office Of Publication Park Row Building, New York, Without Date, p. 6. And: A dictionary of the holy Bible for general use, Published by American Tract society, New York, 1859, p. 275.

وجود الكنيسة، اكتشف المسيحيون أنه من الضروري الدفاع عن الولادة البتولية للرب بسبب رفض جماعات عديدة لها.

وفي غضون القرن الثاني الميلادي لدى كيرنيثوس (Kernithus) كانت هناك معارضة لما أشارت إليه الحقيقة الموحى بها؛ من أن عيسى مولود من عذراء، وفي القرن الثالث جاءت المعارضة من جماعة بقيادة سيلسو (Celsw) ، وفي الرد على هذا الإنكار وقف المسيحيون الأُول بحزم على كلمة الله، وهؤلاء الرجال مثل أغناطيوس الأنطاكي (Ignatius Antioch) وجوستين الشهيد (Justin) للدفاع بشكل موحد عن روايات الولادة البتولية، على النحو الذي قدمه (متى) و(لوقا) في إنجيليهما، على أساس أن ما دافعوا عنه هو الحقيقة الموحى بها؛ بأن عيسى حُمِل به بطريق إعجازي في رحم مريم بواسطة روح القدس، ولقد كانت عذراء عندما حدث ذلك، واستمرت على عذريتها حتى ولادة الرب.!

ولقد كان هؤلاء الرجال مقتنعين بهذا، وليس هناك شيء مثل البتولية الدائمة لمريم؛ ولكنهم لم يكونوا كذلك. وبمرور الزمن فإن الحقيقة الموحى بها أخذت خطوة أبعد للأمام من قبل الرجال غير الملهمين، فبعضهم أخذ يُعلّم أنه ليس فحسب أن مريم حملت دون اتصال جسدي؛ ولكن أيضاً بتوليتها الطبيعية لم تكن بولادة المسيح، وفي مرحلة مبكرة في حدود سنة ٣٩٠م نجد أن المجمع الكنسي في ميلان يدين مقترح الحمل البتولي، ولكن العذراء لم تحمل.! ... وكتب القديس أوغسطين (Augustine) في مواعظه: "باعتبارها عذراء حملت، وباعتبارها عذراء ولدت، فالعذراء هي، استمرت على عذريتها". وفي شرح عقائد الرسل في القرن الخامس كتب روفينوس (Rufinus) أن الباب الذي أغلق كان عذريتها، فمن خلاله دخل الرب إله إسرائيل، ومن خلاله دخل إلى هذا العالم عبر رحم العذراء، ولأن عذريتها استمرت

سليمة نقية، فإن بوابة العذراء تبقى مغلقة إلى الأبد... ومن القرن الرابع سوف نجد تلك الكلمات من مجمع بازل (Basil) : إن أصدقاء المسيح لا يتسامحون مع سماع أن أم الإله قد توقفت عن أن تكون عذراء."(٤٠)

البتولية في الكتابات الأبوكريفية:

تظهر عقيدة (البتولية الدائمة) في الكتابات الأبوكريفيه(٤١) وفيها من النصوص: "ترتيب جديد في الحياة اكتشف بواسطة مريم التي وعدت الله أن تظل عذراء" و: "سوف لن تعرف إنساناً أبداً فهي وحدها بدون نظير، نقية، بلا دنس، بدون اجتماع رجل، هي عذراء، ستلد ابناً.". و: "وُجد رحمها كما هو عليه قبل الحمل." هكذا "حاولت الأسفار المنحولة أن تملأ الصمت الذي تركته الأناجيل؛ فأوضحت ـ بشكل بسيط حتى السذاجة ـ! بتولية مريم، وعظمت نقاوتها (صعود أش١١، موش سل ١٣، سيب ١ : ١٨) وأما إنجيل يعقوب (القرن٢) فقد توسع في طفولة مريم، وتقدمتها إلى الهيكل، وحياة الصلاة عندها، وتكلم عن بتوليتها."(٤٢)

نصوص إنجيلية تناقض البتولية:

جاء في بعض أسفار العهد الجديد الرسمية (القانونية) ما يناقض وصف مريم بالبتولية، وهذا ما جعل بعض النصارى ـ بل طوائف منهم ـ يرون بأن مريم تزوجت

---

(٤٠) See, Catholic Teaching Examined, Examining Teaching in the Light of Scriptures, By David Riggs, Bible Study Guide, Without date, p.112.

(٤١) (أبو كريف) كلمة يونانية، تعني: الخفي، أو السري، والأسفار الأبوكريفية هي: كتابات يهودية ومسيحية ذات طابع سري، وتسمى أيضاً: الأسفار المنحولة، ويقابلها: الأسفار القانونية، ويراد بها أن تكمل الكتاب المقدس! وحاولت أن تقدم التعاليم الجديدة،= =وهي نوعان؛ الأول: أسفار العهد القديم ما بين القرن الثاني ق.م. والقرن الأول الميلادي. والنوع الثاني: أسفار العهد الجديد، وهذه بدأت بعد القرن الثاني الميلادي...! انظر: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، بولس الفغالي، ص ٢٤-٢٥.

(٤٢) المحيط الجامع، ص ١١٨٥.

بعد ميلاد المسيح! ففي: (متى: ١/ ٢٤ ، ٢٥): "يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ ... مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ." وأوضح من هذا كله قوله: "لَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ."! وجاء في: (لوقا: ٩ / ٦) "أليس هذا هو النجارَ ابنَ مريم أخا يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أوليس إخوته هاهنا عندنا".

ويشير الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) إلى أن طائفة من النصارى كانت تقول بأن مريم عليها السلام ولدت هؤلاء من يوسف النجار.![٤٣] بل يقول الشيخ رحمة الله الهندي (ت١٣٠٦هـ) ـ حول هذه القضية ـ: "كون مريم عذراء وقت الحبل غير مسلم عند اليهود والمنكرين، ولا يتم عليهم حجة، لأنها قبل ولادة عيسى ﷺ كانت في نكاح يوسف النجار على تصريح الإنجيل واليهود المعاصرين لعيسى ﷺ ويقولون: إنه ولدُ يوسف النجار! كما هو مصرح به في: (الآية ٥٥ من الباب ١٣ من إنجيل متى)[٤٤] و: (الآية ٤٥ من الباب ١ والآية ٤٢ من الباب السادس من إنجيل يوحنا)[٤٥] وإلى الآن يقولون هكذا بل أشنع منه! والعلامة الأخرى المختصة بعيسى

---

(٤٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٢ /٣٠.

(٤٤) ونصه: "أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تُدعى مريم؟ ..." (الإصحاح الثالث عشر:٥٥).

(٤٥) ونصه: "فيلُبُّس وجد نثنائيلَ، وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس، والأنبياء: يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة" (الإصحاح الأول:٤٥) وفي (الإصحاح السادس: ٤٢) ما نصه: "فكان اليهود يتذمرون عليه؛ لأنه قال: أنا هو الخبز الذي نزل من السماء. قالوا: أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه؟ فكيف يقول هذا: إني نزلت من السماء؟".

ﷺ غير مذكورة في هذا الخبر."(٤٦) إن تلك النصوص التي ذكرناها ونحوها قد كثر الجدل حولها بين النصارى أنفسهم ؛ فمنهم من قال بأن مريم تزوجت بخطيبها يوسف النجار، بعد أن ولدت المسيح، ومنهم من قال بأنها بقيت بتولاً لم تتزوج ؛ وهي العقيدة التي التزمتها الكنيسة الكاثوليكية.

حسم الجدال في البتولية عند الكاثوليك

يؤكد الكاثوليك بأن الجدال في هذه القضية حُسم في (مجمع نيقية) الذي أقر بعقيدة (الدائمة البتولية)(٤٧) ويقول الكاثوليك ـ أيضاً ـ بأن آباء الكنيسة وجدوا عدداً من نبوءات العهد القديم تشير إلى بتولية العذراء الدائمة!(٤٨) كما دافعت الكتب الأبوكريفية عن هذه العقيدة، ففي إنجيل (يعقوب الأول) غير القانوني إشارة إلى أن إخوة يسوع ليسوا إلا أبناء القديس يوسف من زواج سابق، وأنه رجل متقدم في العمر عندما خطَبَت له القديسة مريم العذراء، وكان له أولادٌ من زوجة سابقة ولكن لم يكن له بنات. "وقال الكاهن ليوسف أنت اخترت من الكثيرين لتأخذ عذراء الرب لتحفظها لديك، وكان يوسف خائفاً وأخذها ليحفظها عنده". وفي إنجيل (طفولة مريم): " أخذ يوسف العذراء طبقاً لأمر الملاك كزوجة له، وبرغم ذلك لم يعرفها ولكن اعتنى بها وحفظها في طهارة." ويقولون بأن هذه العقيدة "تقليدية منذ (مجمع أفسس) وظهرت في (المجمع القسطنطيني الثاني المسكوني في ٥٥٣م) جاء في القانون الثاني: "وإذا لم يعترف أحد بميلاد ابن الله الأول من الآب قبل الدهور، وهو ميلاد لا زمنيٌّ ولا جسديٌّ، والآخر في الأيام الأخيرة، وهو ميلاد الذي نزل من السماء وتجسد في مريم القديسة

---

(٤٦) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ١٠٩٢/٤، ولم يذكر المؤلف النصوص، فأقحمتها بين شرطتين للفائدة.

(٤٧) انظر: قرارات مجمع نيقية الأول؛ في: الموسوعة العربية: نؤمن بإله واحد، ٢٠١٠.

(٤٨) كما في: حزقيال (٢/٤٤) ونشيد الإنشاد (٤/١٢)

المجيدة، أم الله الدائمة البتولية، وولد منها، فليكن ملعوناً." [٤٩] ثم أوَّلوا كل نص يظهر منه خلاف ذلك.[٥٠]

يقول أحد الكاثوليكيين: "إن مريم تزوجت بيوسف النجار ـ كما جاء في إنجيل لوقا وغيره ـ لأن لوقا يرى في ذلك الأساس الشرعي[٥١] لمسيانية[٥٢] يسوع! لكن أول شيء يذكره عن العروس الشابة هو أنها عذراء! فقد يكون تم زواجها في وقت سابق للدخول إلى منزل الزوجية بزمن طويل وفق العادات الفلسطينية، وأن بتولية مريم تتجلى عند البشارة من الاعتراض الذي قدمته للملاك..."![٥٣] ويقول الآخر: "إن زواج مريم ويوسف البتولي سرٌّ يتعذر إدراكه على معظم أبناء عصرنا المكبَّلين بعُقد الفرويدية والجنس؛ ومثل هذا السر لا يمكن فهمه إلا بولوج عالم كائنين، كان الله لهما الواقع الأوحد، والقيمة الوحيدة...ومن ثم كانت بتوليتها كاملة ودائمة، قبل ولادتها يسوع، وفي أثناء هذه الولادة، وبعدها، ولادتها لم تنقص من بتوليتها شيئاً،

---

(٤٩) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٧١.

(٥٠) انظر: معجم اللاهوت الكتابي، ص٧٢٧، و: الحبل بلا دنس البتولية الدائمة، جمعية التعليم المسيحي، حلب، ٢٠١٠.

(٥١) هذا وفقاً لما هو موجود في الأناجيل.

(٥٢) (مسيانية): مسيًّا: كلمة يونانية، لا تستعمل في الكتاب المقدس؛ إلا في يوحنا ١ : ٤١ و ٤ :٢٥ وتعني: الممسوح بالزيت، ولفظها في العبرية والآرامية: مسيح. وباختصار: فمسيانية أو مسيحانية لفظة يراد بها عند المسيحيين: المسيح المخلص، وعند اليهود: انتظار مسيح موفد من الله يحمل إلى البشرية الخلاص الموعود به. وهناك خلاف طويل حول هذا المصطلح بين اليهود والنصارى. انظر: المحيط الجامع ص١١٩٤.

(٥٣) معجم اللاهوت الكتابي، ص٧٢٧.

بل كرستها"!![٥٤] ويرى بعض الكاثوليك بأن النقاش في قضية البتولية فُتح مجدداً بعد الانشقاق البروتستانتي في القرن السابع عشر.[٥٥]

وسبب سعي الكاثوليك ومن وافقهم من النصارى لإثبات عذرية مريم وبقائها على البتولية؛ هو زعمهم بأن النبوءات في الكتاب المقدس تشير إلى مجيء المخلص الموعود من امرأة عذراء قديسة طاهرة...وأن صورة ذلك المخلص ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأمه، كما في كتابات زكريا وحزقيال وداود وأشعيا (٧: ١٤) الذي جاء فيه: "ها أن العذراء تحبل وتلِد ابناً ويُدعى اسمه عمانوئيل".

المبحث الثاني: الانتقال إلى السماء

من عقائد الكاثوليك أن مريم عليها السلام انتقلت بروحها وجسدها إلى السماء.

غير أن هذه العقيدة ـ بالرغم من اشتهارها في أوساط الطائفة الكاثوليكية ومن وافقهم عليها من الطوائف النصرانية الأخرى ـ إلا أن الكتاب المقدس لم يذكرها؛ كما لم تثبت بنص رسمي لدى النصارى، كما لم تبحثها المجامع الكنسية!! فانتقال مريم عليها السلام إلى السماء بجسدها وروحها تشريف لجسدها المقدس النقي، بحسب القديس يوحنا الدمشقي. وفي قيامتها وصعودها إلى السماء جاء ملك المجد مع أجواق[٥٦] الملائكة والقديسين لملاقاتها بزفةٍ إلهيةٍ، ولقد وجد الأتباع القبر فارغاً في اليوم الثالث؛ ولعل هذا هو السبب في أن مريم في القرن التاسع قد لقبت بملكة

(٥٤) أم الله أمنا، أديب مصلح، ص٥٦.

(٥٥) مدخل إلى العهد الجديد، لجنة من اللاهوتيين بموافقة الخورأسقف بولس باسيم، ص٩٣.

(٥٦) (أجواق) تعني: الجماعة يرددون الأهازيج. انظر: المعجم الوسيط ١/١٤٨.

الملائكة نظراً للدور الرئيس الذي تقوم به في تماثلها معهم.(٥٧)، ولقد نظر البعض إلى أن هذه العقيدة تشكل الأسطورة الرابعة المتعلقة بمريم في الكنيسة الكاثوليكية. (٥٨)

وهناك سفر يسمى: (انتقال مريم) لكن هذا السفر يعد من الأسفار المنحولة، وهو يعود إلى القرن الرابع، وقد أشار إليه قرار جلاسيوس، ويسمى باللاتينية: (عبور مريم)، ومضمون هذا السفر أن يسوع ـ بعد سنتين من صعوده ـ ظهر لمريم وبشرها بانتقالها القريب، وماتت مريم، وحدثت المعجزات العديدة قرب جثمانها، وأُعيدت إليها الحياة، فخُطفت إلى الفردوس...وهذا الكتاب الذي أثر في التقوى المريمية؛ لم تستند إليه الكنيسة الكاثوليكية من أجل إعلان عقيدة انتقال مريم إلى السماء.(٥٩)

ولذا يحاول أغسطين جاهداً أن يجد شيئاً ليستدل به على هذه العقيدة؛ فيطيل الكلام حول قدسية مريم وقدرها الكبير عند الكنيسة! وما إلى ذلك؛ ويقول: بأن "المسألة قبل كل شيء برهان لياقة، مبني على الكتاب المقدس؛ فالكتاب المقدس يرينا على وجه ما؛ أم الله الجليلة متحدة بابنها الإلهي اتحاداً وثيقاً، ومشتركةً دائماً أبداً في مصيره"(٦٠) ويقول: "وهناك برهان آخر وارد في هذا الدستور ـ يعني الدستور الرسولي لبيوس الثاني عشر ـ: برهان مأخود من الآباء القديسين بأن مريم هي حواء الجديدة؛ فهي موازية للمسيح آدم الجديد.(٦١) فمريم مثال مضادّ لحواء، التي غلبتها

(٥٧) See, Angles A To Z, Edited By, Evelyn Dorotby Oliver and James R. Lewis, Second Edition, Visible Inc. Press, Malaysia, 2008, p. 240.

(٥٨) See, Angles A To Z, Edited By, Evelyn Dorotby Oliver and James R. Lewis, Second Edition, Visible Inc. Press, Malaysia, 2008, pp. 237- 240.

(٥٩) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، ص١٦٤.

(٦٠) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٩٠.

(٦١) See, Catholic Christianity or the reasonableness of our religion, by REV. O. R. Vassall Phillips, R. & T. Washbourne . LTD, London, 1916, P. 285.

الحية، كما غلبت آدم، وقد اتحدت مريم اتحاداً وثيقاً جداً بآدم الجديد؛ في محاربة العدوّ الجهنمي"(٦٢)

ويرى بأن المؤلفات المنحولة في موضوع الرُّقاد (وفاة مريم العجيب) تروي أخبار موت مريم وتحفُّه بالأعاجيب؛ إما في حفظ جسدها من الفساد، وإما في نقلها إلى الفردوس الأرضي! وهذه الأخبار أسهمت في إشاعة اعتقاد انتقال جسد مريم إلى السماء.!(٦٣) ويقول ـ أيضاً ـ بأن (العظات البيزنطية) تروي رفع جسد مريم إلى السماء...! وأنه في أواخر القرن السابع الميلادي أدخل البابا سرجيوس؛ إلى رومة (عيد الرُّقاد) الذي سميّ فيما بعد: (الانتقال) وقد بقي عيداً لوفاة مريم!.(٦٤) فمريم ـ إذنْ ـ بحسب أغسطين ـ انتقلت إلى السماء لتتحد بابنها المسيح.!! وأنها كذلك ستشارك ابنها في مجده (القيامة) مشاركة وثيقة...!

ويرى الكاثوليك بأن سفر (نشيد الأناشيد) جاءت فيه إشارات لهذه العقيدة: "مَنْ هذه الطالعة من القفر، المستندة على حبيبها؟" (٥: ٣) وأيضاَ: "من هذه الطالعة من القفر كعمود بخور معطّرة بالمرّ واللّبان؟"(٣:٦) قالوا: فهذا يدل على خروج العذراء مريم من العالم بصحبة ابنها يسوع وهى مُمجدة. وقد قام البابا بيوس الثاني عشر بإعلان العقيدة للكنيسة الكاثوليكية كعقيدة رسمية؛ وذلك في عام ١٩٥٠؛ وقال حينها: "إنها لحقيقة إيمانية أوحى الله بها، أن مريم والدة الإله الدائمة البتولية

(٦٢) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٩١.

(٦٣) المصدر السابق، ص٩٥.

(٦٤) المصدر السابق، ص٩٥ ، ٩٦.

والمنزهة عن كل عيب، بعد إتمامها مسيرة حياتها على الأرض، نُقِلَت بجسدها ونفسها إلى المجد السماوي".[٦٥]

كذا يقول الكاثوليك بأن يسوع نقل ـ والملائكة معه ـ مريم العذراء إلى السماء. وهذا يعني أنّها نُقلت، أما يسوع فقد صعد إلى السماء و هذا تعبير مختلف. فيسوع قد صعد إلى السماء بقوته الذاتية، أمّا مريم فلا تملك مثل هذه القوة، لذلك فقد نقلها يسوع إلى السماء.!!

وللكاثوليك عيد خاص بهذه المناسبة الدينية يوافق ١٥ من أغسطس، يسبقه صوم مدته ٢٤ يوماً، ويسمى هذا العيد (عيد الانتقال القديم) ويرون بأن هذا الانتقال يعني: دخول مريم في راحة الله...![٦٦]

ويرى بعض الكاثوليك بأن هذه العقيدة مبنية على عقيدة أن مريم لم ترث الخطيئة الأصلية، وبالتالي لا داعي لموتها؛ ويقولون: إن هذه العقيدة متوافقة مع الرؤية المسيحية لدواعي الموت؛ إذ الإنسان يموت بسبب الخطيئة المتوارثة منذ آدم عليه السلام. ! وبعض الكنائس الكاثوليكية الشرقية ترى بأن انتقال مريم إلى السماء وقع بعد فترة قصيرة من وفاتها، فعندما توفيت ـ حسب التقليد الشرقي في بستان الزيتون حيث نازع عيسى ـ بُعث جسدُها بعد ثلاثة أيام حيًّا، وانتقلت نفسها وجسدها إلى السماء. وبعضهم يرى أن جسدها انتقل إلى السماء دون أن يبعث حيًّا. ويقولون بأن وفاة أم الله لا يمكن أن تكون وفاةً عاديةً؛ مثل وفاة سائر الناس!.[٦٧]

---

(٦٥) مريم أم الرب ورمز الكنيسة، ص٢١١.

(٦٦) المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٦٧) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٩٤.

والعجيب أن بعض النصارى الكاثوليك يرى بأن إعلان هذه العقيدة يدل على أن إيمان الكنيسة بهذه العقيدة كان متقدماً منذ القرون الأولى! يقول نبيل حليم يعقوب: "إن إعلان هذه العقيدة يعبر بشكل واضح عن إيمان الكنيسة منذ القرون الأولى للمسيحية." ويرى بأن هناك سرًّا في رفع مريم إلى السماء بجسدها ونفسها؛ فيقول: "إن انتقال مريم العذراء بجسدها ونفسها إلى السماء هو نتيجة لعمل (الروح القدس) فيها؛ فالروح الذي حل عليها وأحيى جسدها لتصير أمًّا لابن الله، هو نفسه يكمل عمله فيها، ويحيي جسدها الميت، وينقله إلى المجد السماوي؛ لأن مريم العذراء كانت في جسدها ونفسها مستسلمة استسلاماً تامًّا لعمل الروح القدس. ويؤكد بأن انتقال مريم إلى السماء ما هو إلا تحرير للبشر من سلطان الموت! "فانتقال مريم حدثٌ سبَّاق لتحرير البشر أجمعين من سلطان الموت، وعودتهم إلى وضعهم الفردوسي الأول، وهذا الانتقال ـ كما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني ـ هو: (علامة رجاء وطيد) رجاء في أن قيامة الأموات بفضل يسوع المسيح ستتم وتحدث.

بل يرى هذا الشماس بأن صعود مريم إلى السماء كان أمراً حتميًّا من قبل المسيح ذاته! هكذا يفترض من عند نفسه؛ فيقول ـ بكل ثقة ـ : "إنه يبدو من المحال أن مريم العذراء ـ التي حبلت بالسيد المسيح وولدته وغذته بلبنها، وحملته على ذراعيها، وضمته إلى صدرها ـ قد انفصلت عنه بعد حياتها على هذه الأرض! إن لم نقل بنفسها، فبجسدها... وبما أن فادينا هو ابن مريم، لم يكن باستطاعته ـ وهو الخاضع خضوعاً تامًّا للشريعة الإلهية ـ ألا يؤدي الإكرام! ليس فقط إلى الآب الأزلي؛ بل أيضاً إلى أمِّه المحبوبة، فحفظها من فساد القبر فرفعت بالجسد والنفس إلى المجد في أعلى السماوات، لتتألق فيها كملكة على يمين ابنها ملك الدهور الأزلي."(٦٨).

(٦٨) انظر: من هي مريم العذراء؟ للشماس نبيل حليم يعقوب، ص١٢.

المبحث الثالث: سلطانة السماء (ملكة السماء)

يصف الكاثوليك مريم عليها السلام بأنها: سلطانة السماء أو ملكة الملائكة.

وهذه العقيدة لدى الكاثوليك مرتبطة بشكل أساس باعتقادهم بانتقال مريم عليها السلام إلى السماء. فمريم باتت عندهم ملكةً ـ بعد أن انتقلت بروحها وجسدها إلى السماء ـ تجلس عن يمين الله! مستدلين على ذلك بما ورد في: (سفر المزامير: ٩ / ٤٥) "جعلت الملكة عن يمينك بذهب وفير". واستناداً على هذه النبوءة فإن مريم عندهم ملكة السماء.

ويصور (سفر رؤيا يوحنا: ١ / ١٢) هذا المعتقد الكاثوليكي، بأن مريم تربعت على عرش السماء في حلة بهية تلبس تاج الملك!! "امرأة لابسة الشمس والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها تاج من اثني عشر نجماً". وبعد انتقالها إلى السماء، أجلس يسوع أمّه على عرش بجانب عرشه. بما أنّه الربّ و الملك فإنّ أمّه قد أصبحت الملكة. وقد وضع يسوع، والله الآب، والروح القدس؛ إكليلاً من اثني عشر كوكباً على رأسها، وأنشد جميع الملائكة، والقديسين أناشيد يعظمون فيها مريم ملكتهم!.

ولما كانت مريم سلطانة السماء، فهي شفيعة النصارى والواسطة بين الله والبشر. ومن صلواتهم ـ التي يقرون فيها بملك مريم ـ : "أيّها الآب، لقد أعطيتنا أمّ ابنك لتكون أمّنا وملكتنا. نرجو بمعونة صلواتها أن نكون أهلاً للمشاركة في مجد أبنائك في الملكوت السماوي." ويقولون بأن ذلك يتضح بجلاء من خلال دورها في (عرس قانا الجليل) فإن المسيح لم يرد فعل المعجزة، لولا أمه مريم.

كذلك تبرز هذه العقيدة بدور مريم في الشفاعة من خلال الظهورات المريمية المتكررة؛ التي يؤمن الكاثوليك بوقوعها. غير أن شفاعة مريم تختلف عن شفاعة المسيح، وقد طُوِّبت مريم بأنها (سلطانة السماء) مرات عدة من قبل آباء الكنيسة،

وأعلن البابا بيوس الثاني عشر عام ١٩٤٢ تكريس العالم لقلب مريم الأقدس، وقال: " إن والدة الإله المنزهة عن كل عيب؛ مريم الدائمة البتولية، بعد أن أنهت مجرى حياتها الأرضية رفعت بجسدها ونفسها إلى المجد السماوي". وهكذا تحتفل الكنيسة الكاثوليكية في أنحاء العالم في الخامس عشر من أغسطس من كل عام بهذا العيد.(٦٩)

المبحث الرابع: الحبل بلا دنس

يعتقد الكاثوليك بأن مريم عليها السلام وُلدت يوم وُلدت ولم ترث الخطيئة الأصلية، فهي مبرَّأة من دنسها، تلك الخطيئة التي يتوارثها الجنس البشري ـ بحسب عقيدة النصارى ـ ...(٧٠)

ويرون بأن هذا لم يكن ناتجاً من ذات مريم، بمعنى أنها لم تكن سبباً في براءتها من الخطيئة؛ بل كان ذلك لها استحقاقاً من ابنها يسوع؛ فيسوع خلص أمه مريم كسائر المسيحيين؛ لكن حصل ذلك بنوع فريد قبل تبشيره وصلبه، وذلك منذ أن تشكلت مريم في بطن أمها، وهي ـ وإن كانت وُلدت كما يولد البشر من أبوين ـ فإنَّ الروح القدس قد طهرها من الخطيئة منذ اللحظة الأولى التي تشكلت فيها. وتفيد هذه العقيدة ـ بحسب الفكر الكاثوليكي ـ بأن مريم العذراء قد تبرأت من أي علاقة بالخطيئة، وهذا ما يكرس طهارتها من كل الخطايا؛ لتهيئتها لتكون أم الإله.(٧١)

وتجدر الإشارة هنا إلى الفرق بين هذه العبارة (الحبل بلا دنس) وبين عبارة (الحمل البتولي): يوضحه أوغسطين بقوله: " العبارة الأولى تعني: أن والدي مريم

---

(٦٩) انظر: كتاب: القديسة مريم العذراء المباركة وألقابها، للشماس/ نبيل حليم يعقوب، لوس أنجلس ٢٠١٠.

(٧٠) See, Catholic Christianity or the reasonableness of our religion, by REV. O. R. Vassall Phillips, R. & T. Washbourne . LTD, London, 1916, P. 285.

(٧١) See, Encyclopedia of Christian Theology, Edited by , Jean. Y Ves, Lacoste, Routlege, New York, 2005, p. 998.

حبلا بها من غير الخطيئة الأصلية، في حين أن العبارة الأخرى تعني: أن مريم حملت من غير أن تعرف رجلاً بالمعنى الكتابي للكلمة (لوقا: الإصحاح الأول: ٣٤). تتناول العبارة الأولى قداسة مريم منذ دخولها ووجودها في هذا العالم، في حين أن العبارة الأخرى تتناول الحبل بيسوع لدى بشارة الملاك لمريم."(٧٢)

وهكذا يعلن البابا بيّوس التاسع عام (١٨٥٤م) بإقرار هذه العقيدة (الحبل بلا دنس) وإعلانها؛ ويقول بهذا الخصوص: "نعلن ونقول ونحدد أن العقيدة بأن الطوباوية العذراء مريم قد حفظت سليمة من كل دنس الخطيئة الأصلية، منذ أول لحظة الحبل بها، بنعمة وإنعام خاص من الله القدير على كل شيء، بالنظر إلى استحقاقات يسوع المسيح ، مخلص الجنس البشري، هي عقيدة أوحى بها الله، ولذلك يجب على المؤمنين جميعاً أن يؤمنوا بها إيماناً راسخاً دائماً."(٧٣) ويوضح المجمع الفاتكاني الثاني (نور الأمم، رقم٥٦) بالقول: "رسخت العادة المتبعة عند الآباء القديسين أن يدعوا أم الله كلية القداسة، وبريئة من كل دنس الخطيئة، وكأن الروح القدس قد جبلها وجعل منها خليقة جديدة ...وقد زهت، منذ اللحظة الأولى للحبل، بقداسة وهاجة، وفريدة جدًّا."(٧٤) ويقول نبيل حليم ـ عن عقيدة الحبل بلا دنس ـ: "تحدد عقيدة الحبل بلا دنس أن مريم العذراء وحدها وُجدت منزهة عن الخطيئة الأولى؛ فمريم دخلت العالم وهي ممتلئة نعمة، وذلك منذ لحظة الحبل بها من أبويها. وهذه النعمة الخاصة قد أُعطيت لها بصفة فريدة واستثنائية؛ نظراً لاستحقاقات ابنها

---

(٧٢) خلاصة اللاهوت المريمي، ص٨١.

(٧٣) Bulle: "Inefabilis Deus ",de Pie IX, 8 December 1854, FC 397. عن كتاب: (خلاصة اللاهوت المريمي، ص٨٢. وانظر: مريم أم الرب ورمز الكنيسة، ص٢١١.

(٧٤) المصدر السابق، ص٨٣.

المسيح الفادي، فلكي يتجسد ويصير إنساناً كاملاً كان لا بد له من طبيعة إنسانية كاملة غير ملوثة بالخطيئة، لذلك وجب أن تكون تلك الأم التي سيأخذ منها طبيعته البشرية طاهرة بريئة من كل دنس الخطيئة، ومن هنا نتج ضرورة منح العذراء - بالرغم من كونها حُبل بها طبيعيًّا كأي إنسان بشري - امتيازاً خاصًّا، يحررها من الخطيئة الأصلية التي يتوارثها الجنس البشري. وهكذا تكون العذراء قد تمتعت بالنعمة المبررة وهي بعدُ في أحشاء أمها، وهي حالة النعمة؛ التي تمتع بها الإنسان الأول في لحظة خروجه من يد الله".(٧٥)

وترى الكنيسة الكاثوليكية بأن هناك إيماءات في (نشيد الأناشيد: ٢/٢) إلى هذه العقيدة؛ ومنها: "كالسّوسنة بين الشوك، كذلك خليلتي بين البنات". (٧/٤) "كلّك جميلة يا خليلتي، لا عيب فيكِ" (٤ : ٧) " أختي العروس جنّة مقفلة، ينبوع مُقفل، وعين مختومة." (٤ : ١٢) "من هذه المشرقة كالصبح، الجميلة كالقمر، المختارة كالشمس، المرهوبة كصفوف تحت الرايات؟" (٦ : ٩).

هكذا يعتقدون بأن هذه النبوءات تشير إلى مريم العذراء! ووصفها بأنه لا عيب فيها، يعني سلامتها من كل عيب، ولا أعظم من عيب الخطيئة الأصلية؛ فهي بالتالي مبرأة من الخطيئة الأصلية.

وكذلك وصف مريم في (لوقا: ١/ ٢٨) الذي جاء فيه: "أيتها الممتلئة نعمة" يعني - بحسب الكاثوليك - أن مريم وُجدت منذ اللحظة الأولى في تكوينها في بطن أمها طاهرةً، نقية، خالية من عار الخطيئة الجدية (خطيئة آدم) وذلك ليس من ذات طبعها ولكن بإنعام خاص! ويعتمدون كذلك على: (مزامير: ٤٥/٥) "قدس العليِّ مسكنه" أي: مستودع العذراء؛ لتصبح أهلاً لسكنى الله. وفي يوم ٨ ديسمبر من كل عام يحتفل

(٧٥) انظر: من هي مريم العذراء؟ للشماس نبيل حليم يعقوب ص١٦.

الكاثوليك بعيد الحبل بالعذراء بلا دنس الخطية الأصلية : (Immaculate Conception)

ومن صلواتهم : "يا مريم المحبول بها بلا دنس صلي لأجلنا نحن الملتجئين إليك"(٧٦).

المبحث الخامس: والدة الإله

أطلق النصارى الكاثوليك على مريم ؛ لقب : (والدة الإله) أو (أم الإله)!

ولعل هذه العقيدة هي من أهم العقائد المريمية التي تأخذ مكانة متميزة داخل الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، إذ ينظر إلى مريم على أنها والدة الإله المبجلة (The Blessed Theotokos) والتي ترى في مريم شخصية كيريجمية(٧٧) (kerygmatic) تشترك في تقديم الخلاص مع عيسى ﷺ هذه الصورة العقدية مرتبطة بما يسميه بعض اللاهوتيين : التقليد الداخلي للمسيحية.(٧٨)

وهذه عقيدة منبثقة عن الاعتقاد بالبتولية الدائمة ، وعلى الانتقال إلى السماء...وقد مر بنا ما ذكره الأب/ أغسطين حول هذه الفكرة حيث يقول: بأن الكتاب المقدس يرينا ـ على وجه ما ـ أم الله الجليلة متحدة بابنها الإلهي اتحاداً وثيقاً ومشتركةً دائماً أبداً في مصيره"(٧٩)

وهكذا يلاحظ بجلاء الارتباط بين العقائد المريمية لدى الكنيسة الكاثوليكية وتلاحمها فيما بينها...يشار هنا إلى أن كلمة (ثيوتوكوس) انتشرت ـ فيما قيل ـ في أواخر

---

(٧٦) حياة مريم العذراء الرائعة، الأب: البير أبونا، ص٢١.

(٧٧) هي كلمة يونانية الأصل تعني: الإعلان أو الدعوة أو التبشير، وتستخدم في أسفار العهد الجديد للتعبير عن رسالة عيسى في مجملها في الكنيسة المبكرة. انظر: إنجيل متى ٣ : ١ . ورسالة بولس إلى أهل رومية: ١٠ : ١٤ ، ولوقا: ٤ : ١٨-١٩.

(٧٨) See, The Orthodox Church; An Introduction to its history, Doctrine, and spiritual Culture, by John Anthony McGuckin, Blackwell publishing, without date, pp. 210-219.

(٧٩) خلاصة اللاهوت المريمي (ص٩٠).

القرن الرابع، وأنه استعمل في الإسكندرية والقدس لدى آباء الكنيسة. وقد أُقرَّ في مجمع أفسس ٤٣١م[٨٠] استعمال لفظ (ثيوتوكوس) باليونانية؛ وتعني: مانحة الإله، إشارة إلى مريم، وتترجم في اللغة العربية بـ : (والدة الله) أو (أم الرب) أو (والدة الإله)؛ ونص قانون الإيمان؛ هو: "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة، يا والدة الإله، يا ثيوتوكوس، لأنك ولدت مخلص العالم، فأتى وخلص نفوسنا". وأضاف المجمع أيضاً القسم الأخير من السلام الملائكي، الصلاة الأشهر للعذراء في المسيحية؛ الذي تضمن هذا اللقب؛ ونصه: "يا قديسة مريم، يا والدة الله، صلّي لأجلنا؛ نحن الخطأة، الآن وفي ساعة موتنا."

ويقول الكاثوليك بأن هذا المصطلح في العقيدة المسيحية لا يعني أن مريم ذات طبيعة إلهية، أو أنها إله؛ لكونها قد أنجبت الإله...بل يشير إلى أن مريم حبلت وأنجبت المسيح الذي هو ـ وفق المعتقدات المسيحية ـ إله منذ الأزل؛ فلكونها حبلت بالإله تستحق أن تنادى: والدة الإله!.

وأول من اعترض على هذه التسمية هو نسطور بطريرك القسطنطينية الذي كان يظن أن المسيح: طبيعتان وشخصان إله وإنسان، وحيث أن العذراء مريم ـ بوصفها إنسانة ـ ولدت الطبيعة الإنسانية، فهي تدعى: أم يسوع وليست أم الله أو والدة الإله. وقد تصدى لهذا البابا/ كيرلس الأول الكبير، الملقب بعمود الدين البابا (٢٤) مؤكداً أن تلقيب القديسة مريم بوالدة الإله ضرورة لاهوتية؛ تحتمها حقيقة التجسد الإلهي.[٨١] ويقول الكاثوليك بأن لقب: (والدة الإله) ليس مجرد اسم ولا هو لقب

(٨٠)See, The Orthodox Church; An Introduction to its history, Doctrine, and spiritual Culture, by John Anthony McGuckin, Blackwell publishing, without date, p. 212.

(٨١)See, The Orthodox Church; An Introduction to its history, Doctrine, and spiritual Culture, by John Anthony McGuckin, Blackwell publishing, without date, pp. 213-214.

تكريمي للعذراء، إنما هو تعريف لاهوتي يحمل حقيقة حيّة إيمانية، ويحمل - أيضاً - فعل محبة الله في أعلى صورها...

ويشرح بعض الكاثوليك سبب كون مريم (أم الإله) فيقول: "بأن العذراء مريم ولدت الإله المتأنس، أي المسيح بلاهوته وناسوته، وعندما نقول عن أمٍّ أنها ولدت إنساناً؛ لا نقول إنها أم الجسد فقط؛ بل أم الإنسان كله، مع أنها لم تلد روح الإنسان الذي خلقه الله، هكذا تُدعى القديسة مريم (والدة الإله) ولو أنها لم تلد اللاهوت لكن ولدت الإله المتأنس...فوجب أن تُدعى العذراء بأم الله فهي أم يسوع، ويسوع هو الله ...وبالعكس إذا لم تكن القديسة مريم أم الله لا يكون الابن المولود منها إلها." وبين بأن الحمل بعيسى ليس كالحمل بغيره من بني البشر؛ ولذا فأمه ليست كأمهات البشر؛ فيقول: "إن حبل مريم بيسوع المسيح لم ينتج عنه تكوين شخص جديد لم يكن له وجود سابق - كما هي الحال في سائر البشر - بل تكوين طبيعة بشرية اتخذها الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس الموجود منذ الأزل في جوهر واحد مع الآب والروح القدس. فيسوع المسيح ليس إلا شخص واحد، شخص الإله المتجسد الذي اتخذ طبيعتنا البشرية من جسد مريم وصار بذلك ابنَ مريم."(٨٢)

وتظهر هذه العقيدة بأن مريم (أم الإله) في صلوات الكاثوليك؛ ومنها:

"لتعطينا أم اللّه العذراء المجيدة والدة الإله رسلاً غيورين ليعلنوا اسم المسيح في كل مكان". "يا مريم أم الإله، يا مسكن الطيب الموَقَّر، اجعليني بصلواتك إناءً منتخباً لكي أتناول قدسات ابنك". "يا والدة الإله، إذ قد لجأنا تحت كنف تحننك، فلا تعرضي

(٨٢) انظر: من هي مريم العذراء؟ للشماس نبيل حليم يعقوب. (ص٨).

عن توسلاتنا في الضيقات، بل نجنا من الشدائد، أيتها النقية المباركة وحدك". "يا مريم القديسة، يا والدة الله، صلي لأجلنا نحن الخطأة."(٨٣)

الفصل الثالث: المجامع الكنسية والفرق المسيحية وتأليه مريم في القرنين الرابع والخامس الميلاديين

المبحث الأول: تأليه مريم بين مجمعي نيقيه ٣٢٥م وأفسس ٤٣١م

تعتبر المجامعُ المسيحيةُ ـ التي تسمى (المجامعَ المسكونيةَ) ـ(٨٤) من أعظم العوامل التي أدت بالديانة المسيحية إلى الانحراف العقديِّ الخطير في تاريخها الطويل؛ وتضفي المجامع على قراراتها طابع الرسمية بالقوة والتحكُّم؛ وقد كان من أشهر تلك المجامع: مجمع نيقية، ومجمع أفسس؛ اللذين جرى فيهما شيء مما يتعلق بالسيدة مريم أم المسيح عليهما السلام.

---

(٨٣) انظر: حياة مريم العذراء الرائعة، الأب البير أبونا (ص ٩٤-٩٧).

(٨٤) تسمى (مسكونية) إذا حضرها ممثلون من جميع الكنائس في العالم، وبذلك تكون قراراتها شاملةً لجميع الكنائس، ويتم من خلالها مناقشة مسائل عقدية تتعلق بالديانة المسيحية، التي جرى فيها الخلاف، وكثر حولها الجدال، فيجتمع رموز علماء الديانة، لحسم الخلافات ومحاولة الاتفاق حول المسائل التي وقع فيها النزاع، ومن ثم تعميم الأمر على الكنائس المختلفة... والمجامع الكنسية على نوعين: مجامع مسكونية: إذا كانت تشمل ممثلي الكنائس في العالم. ومجامع إقليمية أو محلية: وهي التي تُعقد في الإقليم وتجمع أساقفة وقسوس كنيسة ذلك الإقليم. ويختلف المؤرخون في عدد المجامع المسكونية فبعضهم يقول: إنها سبعة. وآخرون يقولون: إنها ١٩ مجمعاً .وكما أن المؤرخين يختلفون في عددها هكذا تختلف الكنائس في الاعتراف بها، والانصياع لقراراتها. انظر: دائرة معارف الدين، المجلد الرابع، ص ١٢٥، مادة "المجامع المسيحية" وعنه: النصرانية، د. عرفان عبدالحميد، ص٨١-٨٢، وانظر: محاضرات في النصرانية، ص١٢٤.

مجمع (نيقية)

يعتبر مجمع نيقية (Nicaea) أشهر المجامع الكنسية في تاريخ الديانة المسيحية؛ وأخطرها على الإطلاق...وقد انعقد هذا المجمع في (نيقية) الواقعة شمال غربي آسيا الصغرى، المعروفة اليوم بـ: إزنك التركية، وكانت قريبة من القصر الإمبراطوري لقسطنطين الأول. وكان عقد هذا المجمع بتاريخ: ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية. بأمر الإمبراطور قسطنطين الأول (ت ٣٣٧م) الذي حضره بنفسه. وافتتحه ورعى اجتماعاته. وقد حضر هذا المجمع ٣١٨ أسقفاً[٨٥] ممثلين لجميع الكنائس، وكان معظمهم من الكنائس الشرقية، وعدد قليل من ممثلي الكنائس الغربية اللاتينية، واختلفت المصادر في تحديد عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع، فبعض المصادر تتحدث عن حضور (٢٠٤٨) أسقفاً، ولعل ٣١٨ هم الذين وافقوا على (قانون الإيمان النيقوي)...![٨٦] وكان سبب انعقاده ما أظهره (القديس: أريوس) من إنكار إلهية المسيح عليه السلام [٨٧] ولم يكن آريوس وحده من أنكر ألوهية المسيح[٨٨] لكن جرأته في

---

(٨٥)انظر: تاريخ اليعقوبي، محمد بن إسحاق اليعقوبي، ١٥٣/١. و: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص٤٧.

(٨٦) انظر: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، عمران محمد سعيد، ص٤٧ وما بعدها، و: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، وسام عبدالعزيز فرج، ص ١٩.

(٨٧) الله واحد أم ثالوث، د. محمد مرجان، ص ٣٢ . ٣٣.

(٨٨) منهم: (برنابا) وهو من الحواريين، و(ديودوروس) و (بولس السميساطي) وكان بطريركا في أنطاكية ووافقه على مذهبه التوحيدي كثيرون و عرفوا بالفرقة (البوليقانية) والأسقف (لوسيان) الأنطاكي أستاذ آريوس، و (يوزيبيوس النيقوميدي) أسقف بيروت ثم نُقل لنيقوميديا عاصمة الإمبراطورية الشرقية، و كان من أتباع لوسيان الأنطاكي ومن أصدقاء آريوس...ذكر هؤلاء وغيرهم البروفيسور محمد عطاء الرحيم في كتابه القيِّم المسمى: عيسى يبشِّر بالإسلام، ترجمت: فهمي الشما، وقد ذكر فيه مؤلفه الفرق المسيحية الموحدة القديمة و تحدث في فصل كامل عن أعلام الموحدين في المسيحية، استوعب فيها أسماءهم و تراجمهم و كتاباتهم=

إظهار رأيه أحدثت أزمة خطيرة على الصعيدين الديني والسياسي في الإمبراطورية البيزنطية، فانقسم رجال الدين والجمهور المسيحي حولها إلى مؤيدين ومعارضين، واستمرت هذه الأزمة أزيد من سنتين (٣١٨ -٣٢٠م) وتسببت الدعوة الآريوسية في انقسامات كبيرةٍ، وخلافات خطيرة بين طوائف النصارى. ولما أنكر القديس: أريوس ألوهية المسيح، فهو ينكر بالتالي دعوة مريم بـ: (أم الله) أو (الثيوتوكوس).

ومما تم تناوله في عقيدة هذا المجمع وقراراته[٨٩] ما يتصل بتجسد روح القدس والعذراء مريم، وأيضاً ذلك التماثل بين الابن الأزلي وأبيه، الرب الذي نزل متجسداً فيه روح القدس من خلال العذراء مريم، وقد كان صلبه من أجل المسيحيين، وكذلك مريم، ذلك الفهم الذي قدمه هذا المجمع ستكون له مكانة مركزية في الرؤية الكنسية لعيسى عليه السلام فهو الطفل المولود من مريم، وفي نفس الوقت الابن الأزلي لله ـ تعالى الله ـ إن الكلمة قد تحولت إلى لحم في مريم وفي شخص المسيح الذي سيظهر الآن عبر التاريخ والمكان، وهذا يعني أن مريم باعتبارها أم الإله سوف تأخذ مهمة محددة في العقيدة المسيحية...[٩٠] وقد كان لموقف أريوس هذا أثر كبير في الخلاف بين طوائف النصارى في مريم عليها السلام؛ ويبدو أن النزاع في هذه المسألة أصبح عالقاً؛ كما هو الحال في كثير من المعتقدات النصرانية.!! حتى دُعي إلى مجمع مسكوني آخر لإصدار قرار حول هذه القضية. ومن هنا جاء (مجمع أفسس).

=ودلائلهم على التوحيد و أحوالهم وما لاقوه من اضطهاد ومحاربة في سبيل عقيدتهم. وانظر: تاريخ الكنيسة، لبوسابيوس القيصري، الفصل ٢٧، ٣١، وما بعده.

(٨٩) See, A History of Christian Councils, by Charles Joseph, Second Edition, Edinburgh, 1954, pp. 293-297.

(٩٠) See, The Orthodox Church; An Introduction to its history, Doctrine, and spiritual Culture, by John Anthony McGuckin, Blackwell publishing, without date, p. 212.

مجمع (أفسس)

هذا المجمع من المجامع المسكونية الكبرى؛ انعقد في: أفسس (باليونانية Έφεσος وبالتركية Efes)، وهي من أعظم المدن الإغريقية القديمة في الأناضول في تركيا، وتقع في منطقة ليديا (Lydia). وقد انعقد هذا المجمع سنة ٤٣١م. وكان سبب انعقاده رفضَ نسطور بطريرك القسطنطينية إطلاق لقب (والدة الإله) على السيدة مريم عليها السلام؛ وكان ذلك عام ٤٢٨م. وكان نسطور يعتقد بأن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية؛ وحيث إن العذراء مريم ـ بوصفها إنسانة ـ ولدت الطبيعة الإنسانية؛ فهي تُدعى أم يسوع، وليست أم الله، أو والدة الإله... ولذا كان من أهم أسباب انعقاد هذا المجمع هو الرد على نسطور؛ وإقرار لقب: (أم الله) أو (والدة الإله).[٩١]

المبحث الثاني: الفرق المسيحية المؤلهة لمريم في القرنين الرابع والخامس

ظهرت بعض الفرق المؤلهة لمريم عليها السلام في التاريخ النصراني القديم، وتعتبر الكتابات عن تلك الفرق ضعيفةً أو قليلة الأهمية؛ سواء من قبل الباحثين المسيحيين أو غير المسيحيين.

غير أن بعض الباحثين في الديانات استطاع أن يتوصل إلى شيء من المعلومات في هذه القضية...

وكان من الفرق المسيحية المؤلهة لمريم عليها السلام؛ التي استطعتُ الوقوف عليها في الكتابات القديمة؛ ما يأتي:

---

(٩١) مريم أم الرب ورمز الكنيسة (ص١٥).

البربرانية: وهذه الفرقة كانت من فرق النصارى القديمة ؛ ذكرها ابن البطريق في تاريخه ؛ وهي التي تسمى كذلك بـ: (المريمانية) أو (المريمية) ...كما أكد وجود هذه الفرقة الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) وغيره.(٩٢)

الركوسية: جاء ذكر هذه الطائفة في حديث روي عن النبي ﷺ أنه قال لعدي بن أبي حاتم ﷺ حينما وفد إليه : "أنا أعلم بدينك منك"! فقلت : أنت أعلم بديني مني؟! قال : "نعم! ألست من الركوسية؟ وأنت تأكل مرباع قومك؟" قلت : بلى...الحديث(٩٣) ويُذكر أن هذه الفرقة كانت من نصارى العرب ؛ ويرى بعض أهل العلم أنهم قوم من النصارى تأثروا بالصابئة، وكانوا يقولون : إنه لما اتحد الروح القدس بمريم حين حملها بالكلمة تألهت مريم أيضاً...!(٩٤)

الفصل الرابع: قراءة نقدية لإنكار المسيحيين المعاصرين تأليه مريم، ومصدر هذا التأليه.

المبحث الأول: تأليه مريم في الكتب الإسلامية (تفاسير القرآن، وكتب الملل والنحل)

أولاً: كتب تفسير القرآن الكريم.

بالنظر في كتب تفسير القرآن الكريم نجد أن عدداً من علماء التفسير تعرضوا لقضية تأليه النصارى لمريم ـ عليها السلام ـ وذلك عند تفسيرهم للآيات التالية :

(٩٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١ /٤٧). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ /١٤). وكذا: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (١٧٤/١).

(٩٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٨٢٨٦) وفيه رجل لم يسم! وحسنه المحقق الشيخ: شعيب الأرناؤوط.

(٩٤) انظر: تفسير القرطبي (٣٠٧/٥) ولسان العرب لابن منظور (مادة: ركس) والتحرير والتنوير (٢٨٢/٦).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾[سورة النساء: ١٧١] وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ [سورة المائدة: ٧٣] وقوله: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ ﴾[سورة المائدة: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وعامة كلام المفسرين حول هذه الآيات ينصرف إلى: مفهوم تأليه مريم، وصوره، ومن الذين ألهوها؟ وكيف حدثت بدعة تأليه مريم في ديانة النصارى بعد أن لم تكن في عصورها الأولى؟!. فيرى المفسرون بأن اتخاذ إله من دون الله يراد به: عبادة غيره. سواء أكانت عبادةً خالصةً لغيره، أم شركةً بينه وبين غيره، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [سورة البينة: ٥].

وقوله سبحانه: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: معبودين تعبدونهما من دون الله![٩٥] ويوضح المفسرون صور العبادة التي يصرفها النصارى لمريم عليها السلام؛ ويذكرون منها: الصلوات (الصلوات المريمية)، والدعاء، والاستشفاع، والصوم، والخشوع والخضوع ... ونحو ذلك؛ مما لا يجوز صرفه إلا لله وحده. ويؤكد بعض المفسرين بأن ما ذكره القرآن من أن النصارى جعلوا الله تعالى ثالث ثلاثة؛ يراد به مشاركة عيسى وأمِّه مريمَ لله تعالى في ألوهيته!.

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ ـ: " قالوا كفراً بربهم وشركاً: الله ثالث ثلاثة.! وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكية

---

(٩٥) تفسير الطبري (١٣٦/٩).

والنسطورية، كانوا ـ فيما بلغنا ـ يقولون: الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبا والدا غير مولود ، وابنا مولودا غير والد ، وزوجا متتبعة بينهما. يقول الله تعالى ذكره مكذبا لهم فيما قالوا من ذلك: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ يقول: ما لكم معبود أيها الناس إلا معبود واحد ، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود ، بل هو خالق كل والد ومولود."(٩٦)

ويذكر بعض المفسرين ملحظاً مهمًّا لحال النصارى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ﴾ وهو: أن النصارى كانوا متفقين على اعتقاد ثلاثة آلهة؛ فكانوا يقولون: الله ثلاثة. فأصبحت هذه الكلمة في دينهم، ككلمة الشهادة عند المسلمين...وأن المراد من الآية النهي عن النطق بالمشتهر من مدلول هذه الكلمة، وعن الاعتقاد، وأن النهي هنا كناية بإرادة المعنى ولازمه...وأن﴿ ثَلَٰثَةٌ ﴾خبر مبتدأ محذوف؛ كان حذفه ليصلح لكل ما يصلح تقديره من مذاهبهم من التثليث؛ لأن النصارى اضطربوا في حقيقة تثليث الإله!! فيقدر المبتدأ المحذوف على حسب ما يقتضيه المردود من أقوالهم في كيفية التثليث؛ مما يصح الإخبار عنه بلفظ ثلاثة من الأسماء الدالة على الإله...

وفي الآية الأخرى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ وفي آية ثالثة: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: إلهين مع الله؛ فالمجموع ثلاثةٌ: كل واحد منهم إله، ولكنهم يقولون: إن مجموع الثلاثة إله واحد، أو اتحدت الثلاثة فصارت إلهاً واحداً...وصار النصارى إزاءَ هذا

(٩٦) تفسير الطبري (٥٧٩/٨).

التثليث مذاهب شتى...!! فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ فيه حسن إيجاز وإعجاز؛ حيث أتى على المذاهب كلِّها...(٩٧)

ويذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد بالتثليث عند النصارى؛ هو قولهم: الآلهة ثلاثة، وهم: الله وعيسى ومريم... يقول الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ): " القرآن يدل على أن النصارى يقولون: إن الله والمسيح ومريم ثلاثةُ آلهة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٩٨).

ويزيد الفخر الرازي الأمرَ توضيحاً ـ عند قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ ـ فيقول: "هذا التثليث؛ إما أن يكون لاعتقادهم وجود صفات ثلاثة، أو لاعتقادهم وجود ذوات ثلاثة. والأول باطل؛ لأن المفهوم من كونه تعالى عالماً؛ غير المفهوم من كونه قادراً، ومن كونه حيًّا. وإذا كانت هذه المفهومات الثلاثة لا بد من الاعتراف بها؛ كان القول بإثبات صفات ثلاثة من ضرورات دين الإسلام، فكيف يمكن تكفير النصارى بسبب ذلك؟ ولما بطل ذلك؛ علمنا أنه تعالى إنما كفرهم لأنهم أثبتوا ذواتاً ثلاثًا قديمة مستقلة، ولذلك فإنهم جوزوا في أقنوم الكلمة أن يحل في عيسى! وجوزوا في أقنوم الحياة أن يحل في مريم!. ولولا أن هذه الأشياء المسماة عندهم بالأقانيم ذوات قائمة بأنفسها، لما جوزوا عليها الانتقال من ذات إلى ذات. فثبت أنهم قائلون بإثبات ذوات قائمة بالنفس قديمة أزلية وهذا شرك، وقول بإثبات الآلهة، فكانوا مشركين..."(٩٩)

---

(٩٧) انظر: التحرير والتنوير (٦/٥٠-٥٤). بتصرف.

(٩٨) مفاتيح الغيب (ص١٥٩٥).

(٩٩) المصدر السابق (ص٨٩٤).

وقد ذكر الرازي بأن المفسرين لهم طريقان في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ فالطريق الأول: قول بعضهم: بأن النصارى أرادوا بذلك: أن الله، ومريم، وعيسى، آلهةٌ ثلاثةٌ. قال: "والذي يؤكد ذلك؛ قوله تعالى للمسيح: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ فقوله: ﴿ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة. والدليل على أن المراد ذلك؛ قوله تعالى في الرد عليهم: ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ قال: "والطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد! كما أن الشمس اسم يتناول: القرص، والشعاع، والحرارة، وعنوا بالأب: الذات، وبالابن: الكلمة، وبالروح: الحياة. وأثبتوا: الذات، والكلمة، والحياة. وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله؛ اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر، واختلاط الماء باللبن. وزعموا: أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد."(١٠٠) ونص الخازن في تفسيره على أن الطريق الأول هو قول أكثر المفسرين.(١٠١) ويقول أبو حيان الأندلسي ـ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ ـ:"هؤلاء هم الملكية من النصارى، القائلون بالتثليث. وظاهر قوله : ثالث ثلاثة. أحد آلهة ثلاثة."(١٠٢) وبين أن المفسرين ذكروا أن النصارى أدخلوا مريمَ في عقيدة التثليث عندهم! فقال: "قال

(١٠٠) تفسير الرازي : مفاتيح الغيب (ص١٦٩٣).

(١٠١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٧٧/٢).

(١٠٢) تفسير البحر المحيط (٥٤٤/٣).

المفسرون: أرادوا بذلك أن الله تعالى، وعيسى، وأمه: آلهة ثلاثة، ويؤكده: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.(١٠٣)

ومع أن أكثر المفسرين ذكروا بأن النصارى يقولون بتأليه مريم عليها السلام؛ على ما نصت عليه الآية السابقة؛ إلا أن بعضهم نبَّه إلى أمرين مهمين مرتبطين بهذه القضية؛ وهما:

الأمر الأول: أنه لو افترضنا جدلاً صحة ما يدعيه النصارى من أنهم لم يتخذوا مريم إلهاً؛ كما نص عليه القرآن!؟

فالجواب الأول: أن يقال: إنهم لما قالوا إنها ولدت الإله! لزمهم أن يقولوا بإلاهيتها من أجل البعضية؛ فصاروا بمثابة القائل بإلاهيتها.(١٠٤)

وذكر الشيخ الآلوسي هذا الجواب؛ وأضاف جوابين آخرين؛ فقال:

"**والثاني**: أنهم لما عظموها تعظيم الآلهة؛ أطلق عليها اسم: الإله، كما أطلق اسم: الرب؛ على الأحبار والرهبان؛ في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [سورة التوبة: ٣١] لِما أنهم عظموهم تعظيم الرب.

---

(١٠٣) المصدر السابق. وممن ذكر ذلك من المفسرين ـ على ما أشار إليه أبو حيان هنا من المراد بالتثليث المذكور في الآية ـ: الإمام قتادة (ت١١٧هـ) والإمام السدي (ت١٢٧هـ) فيما روي عنهما؛ كما في تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣٩٢/٥ و٧١/١٠) وذكره: الطبري في تفسيره (٥٩٧/٨) و: الواحدي في الوجيز (١٤٧/١) و: البيضاوي في تفسيره (٢٨٣/١) و: ابن كثير في تفسيره (٥ /٢٩٧) و: أبو السعود في تفسيره (٢ /٢٦٠) و: الشوكاني في فتح القدير (٢ /٣٤٠) و: الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٨٥/٦). وغيرهم.

(١٠٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٦٣/٢) و: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨ /١٨٩) و: تفسير العز بن عبدالسلام (ص٢٩٠) و: تفسير الخازن (١١٣/٢).

والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك، ويعضد هذا القول؛ ما ذكره بعض المفسرين أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: المريمية، يعتقدون في مريم أنها إله!.(١٠٥)

وتجدر الإشارة هنا إلى ما لحظه الشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ بقوله: "لا نعرف عن فرقة من فرقهم إطلاق كلمة (إله) عليها؛ بل يسمونها (والدة الإله) ويصرح بعض فرقهم بأن ذلك حقيقة لا مجاز، والقرآن يقول هنا: إنهم اتخذوها وابنها إلهين. والاتخاذ؛ غير التسمية. فهو يصدق بالعبادة وهي واقعة قطعاً، وبين في آية أخرى أنهم قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وذلك معنى آخر. وقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى في أهل الكتاب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٣١] أنهم اتبعوهم فيما يحلون ويحرمون؛ لا أنهم سموهم أرباباً."

ثم بين الشيخُ أن النصارى صرحوا بعبادة مريم عليها السلام! قال: "أول نص صريح رأيته في عبادة النصارى لمريم ـ عبادة حقيقية ـ ما في كتاب: (السواعي) من كتب الروم الأرثوذكس، وقد اطلعت على هذا الكتاب في دير يسمى (بدير البلمند)..."(١٠٦)

والأمر الثاني: أن بعض المفسرين أشار إلى أن ما ذكره الله تعالى من تأليه النصارى لمريم؛ لا يلزم منه أن يكون قولَ جميعهم. بل إن قول فرقة منهم بهذا يَصدُقُ عليه ما ذكره القرآن. وقد كان طائفة من نصارى العرب ـ كما يذكر بعض المفسرين ـ تصرح بألوهية مريم؛ وكان يقال لها: (الركوسية) يقولون: إنه لما اتحد الروح القدس

---

(١٠٥) انظر: روح المعاني (٦٥/٧).

(١٠٦) تفسير المنار (٢٢٠/٧).

بمريم حين حملها بالكلمة تألهت مريم أيضا...!! ولذلك اختلفوا هل هي أم الكلمة أم هي أم الله.؟.(١٠٧)

لذا يمكننا القول بأن من قال من المفسرين بأن النصارى قالوا بألوهية مريم؛ كما دل عليه القرآن الكريم؛ حق لا مرية فيه؛ وإليه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية؛ عند قوله تعالى: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك" فقال: " وهو - سبحانه - لم يحكِ هذا عن جميع النصارى، بل سأل المسيح سؤالا يقرع به من اتخذه وأمه إلهين من دون الله."(١٠٨)

تأليه مريم في كتب الملل والنحل عند المسلمين:

لا يكاد يجد الباحث في كتب الملل والنحل عند المسلمين ما يفي بغرضه في هذه المسألة تفصيلاً وبياناً؛ كما يجد ذلك في قضايا أخرى أصولية في الديانة النصرانية!! كما في حديثهم عن الكتاب المقدس عند النصارى؛ وقضية التثليث، والصلب والفداء وما إلى ذلك.

وأول من رأيته ـ من علماء المسلمين ـ ذكر قضية تأليه النصارى لمريم عليها السلام الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) حيث أكد بأن طائفة من النصارى كانت تقول بألوهية مريم عليها السلام.! يقول الإمام ابن حزم: "ومنهم (البربرانية) وهم يقولون أن عيسى وأمَّه إلهان من دون الله عز وجل، وهذه الفرقة قد بادت."(١٠٩) وذكر

---

(١٠٧) انظر: التحرير والتنوير (٢٨٢/٦).

(١٠٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٥٦/٤).

(١٠٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٧/١).

الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) أن في النصارى طائفة " يقولون إن مريم إله.!" ولم يسمها.(١١٠)

وشيخ الإسلام ابن تيمية ذكر طائفة من النصارى تقول بألوهية مريم عليها السلام يقال لها (المريميون) أو (المريمانية) ويجوز أن تكون وصفاً للطائفة التي ذكرها ابن حزم.(١١١) وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في توضيح مسألة مهمة ؛ اختلفت فيها آراء المفسرين ؛ وهي أن الآيات القرآنية الدالة على قول النصارى بالتثليث ؛ قد أتت على جميع مذاهب النصارى على اختلاف مقالاتهم ؛ وبين أن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ وقوله : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ عقب قوله : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ يدل على أن التثليث ـ الذي ذكره الله عنهم ـ اتخاذ المسيح ابن مريم وأمه إلهين، وهذا واضح على قول من حكى من النصارى أنهم يقولون بالحلول في مريم والاتحاد بالمسيح، وهو أقرب إلى تحقيق مذهبهم. قال : "وعلى هذا فتكون كل آية مما ذكره الله من الأقوال تعم جميع طوائفهم، وتعم أيضاً القائلين بتثليث الأقانيم، وبالاتحاد والحلول، فتعم أصنافهم، وأصناف كفرهم، ليس يختص كل آية بصنف، كما قال من يزعم ذلك، ولا تختص آية بتثليث الأقانيم، وآية بالحلول والاتحاد، بل

---

(١١٠) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للقرطبي (ص٢٥٤).

(١١١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ /١٤). وكذا: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (١/١٧٤). وانظر: كتاب: أديان العرب وخرافاتهم، للأب: أنستاس ماري الكرملي؛ حيث ذكر محقق الكتاب: د.وليد محمود خالص، بأن أنستاس؛ أورد في معجمه المساعد، تحت مادة (البربرانية) .: أنهم نسبة إلى بربر على الطريقة الآرامية، وهي فرقة دينية تعرف أيضاً باسم (المريمانية) أو (المريميون) ، (ص٨٩).

هو سبحانه ذكر في كل آية كفرهم المشترك، ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات وكل صفة تستلزم الأخرى: أنهم يقولون المسيح هو الله، ويقولون هو ابن الله، ويقولون إن الله ثالث ثلاثة، حيث اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، هذا بالاتحاد، وهذه بالحلول، وتبين بذلك إثبات ثلاثة آلهة منفصلة غير الأقانيم."(١١٢) وأشار عبدالله الترجمان (القس: إنسلم تورميدا ، سابقاً، ت٨٢٣هـ) إلى أن بعض النصارى يرى بأن المراد بالثلاثة: الله، وعيسى، ومريم.!(١١٣)

ويرى علماء المسلمين بأن ما يتقرب به النصارى من أنواع العبادة لمريم عليها السلام في صلواتهم ودعائهم واستشفاعهم ونحو ذلك عين تأليهها؛ لأن هذه الشعائر العبادية لا يجوز صرفها إلا لإله تألهه القلوب... ولذا يذكر ابن حزم (ت٤٥٦هـ) أن النصارى أجمعهم متفقون على أن يصوروا في كنائسهم صورة يقولون هي صورة الباري - عز وجل - وأخرى صورة المسيح، وأخرى صورة مريم... ثم يسجدون للصورة؛ سجود عبادة، ويصومون لها، تديناً! قال: "وهذا هو عبادة الأوثان - بلا شك - والشرك المحض."(١١٤) وأشار إلى ذلك - أيضاً - ابن تيمية؛ فقال: "إن من النصارى من اتخذها إلهاً آخر؛ فعبدها كما عبد المسيح!." ثم عقب قائلاً: "والذين لا يقولون بهذا، كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب من الله! حتى يقول لها: اغفري لي، وارحميني. وغير ذلك، بناء على أنها تشفع في ذلك إلى ابنها!. فتارة يقولون: يا

---

(١١٢) الفتاوى الكبرى (٦ /٥٨٩) وانظر ما ذكره القاسم الرسي (ت٢٤٦هـ) في كتابه: الرد على النصارى (ص٣٦) حيث قال: بأن اليعقوبية يعتقدون بأن عيسى نزل فتجسد في جسد مريم فصارا جميعاً واحداً!.

(١١٣) كما في كتابه: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (ص٨٣).

(١١٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٦١).

والدة الإله؛ اشفعي لنا إلى الإله. وتارة يسألونها الحوائج التي تطلب من الله، ولا يذكرون شفاعة! وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح.!"(١١٥)

المبحث الثاني: قراءة نقدية للإنكار الكاثوليكي لتأليه مريم

قد تقدم في المبحث السابق؛ ما يشير بوضوح إلى ظهور طائفة من النصارى في تاريخ المسيحية تقول بألوهية مريم عليها السلام...فلا مجال للتشكيك في هذه القضية؛ وهذا مصدقٌ لما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وهو قوله سبحانه: {وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ}.

أما إنكار الكاثوليك تأليههم لمريم عليها السلام؛ وقولهم إن كل الشعائر التي يتوجه بها الكاثوليكيُّ بصورة مباشرة إلى السيدة العذراء مريم؛ لا تعدو أن تكون تبجيلاً وتكريماً لها؛ وليس تأليهاً...

فنقول بأن ثمت نقد قوي جداً يوجّهه إلى هذه الطائفة كثيرٌ من النصارى؛ من الأرثوذوكس والبروتستانت، وغيرهم؛ مما لا يدع مجالاً للشك بأن الكاثوليك؛ قد بالغوا في تعظيم مريم عليها السلام حتى وصل بهم الأمر إلى تأليهها؛ ووصفها بما لا يتصف به إلا الإله...! وسأذكر فيما يلي بعض أقوال العلماء والباحثين في الديانات؛ حول قضية تأليه الكاثوليك لمريم عليها السلام؛ ثم أذكر مظاهر ذلك التأليه؛ التي لا يمكن للكاثوليكي إنكارها بأي حال من الأحوال.

فهذا الشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) يذكر: بأن طوائف الكاثوليك يصرحون بعبادة مريم ويفاخرون به، وقد زين الجزويت في بيروت العدد التاسع من السنة السابعة لمجلتهم (المشرق) بصورتها وبالنقوش الملونة، إذ جعلوه تذكاراً لمرور

(١١٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٥٦/٤).

خمسين سنة على إعلان البابا بيوس التاسع أن مريم البتول: حُبل بها بلا دنس الخطية!. وأثبتوا في هذا العدد عبادة الكنائس الشرقية لمريم كالكنائس الغربية. ومنه قول (الأب لويس شيخو) في مقالة له فيه عن الكنائس الشرقية: "إن تعبد الكنيسة الأرمنية للبتول الطاهرة أم الله لأمر مشهور" وقوله: "قد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوطة أم الله"".(١١٦)

ويقول الأنبا غريغوريوس الأرثوذكسي عن مريم: " إننا لن نرفعها إلى مقام الألوهية كما فعل الكاثوليك □ وكما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهية والعصمة، كذلك ضل البروتستانت ضلالاً شنيعاً حين احتقروها، وجهلوا وتجاهلوا نعمة الله عليها وفيها، ولكن الكنيسة الأرثوذكسية قد علمت العذراء تعليماً مستقيماً، فلا نؤلهها ولا نحتقرها".(١١٧)

ويروي لنا الكاتب المسيحي ايبيفانيوس: أن نحلة دينية جديدة ظهرت في تلك الفترة وراحت تعبد مريم على غرار عبادة الآلهة الوثنية القديمة، وكانت هذه النحلة تدعى (الكولليديين) وانتشرت عبادة مريم في بعض المناطق مثل: الجزيرة العربية، وتراقيا، وسيثيا، وكان معظم أتباع هذه النحلة من النساء.ثم قال ايبيفانيوس في كتابه (نقض مبادئ الفكر الثمانية): أنه كانت هناك معابد خاصة شيدت لمريم كما كان لها كاهنات يحتفلن في أيام معلومة فتزينَّ العربات بالقطن، ويضعنَ على مقاعد العربة لحماً مشوياً يقدم لمريم، وبعد ذلك يتناولن الطعام، وكانت هذه الاحتفالات تشبه

---

(١١٦) تفسير المنار (٢٢٠/٧).

(١١٧) انظر: اللقاء بين الإسلام والنصرانية، أحمد حجازي السقا، ص (٩٩-١٠٠، ١٠٩)، مسيحية بلا مسيح، كامل سعفان، ص (١٩٨-١٩٩)، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، محمد حسن عبد الرحمن، ص (٢٨-٢٩)، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير، إبراهيم الجبهان (ص١٤٢).

القرابين، ويقدم فيها اللحم والخبز أيضا.! وهاجم ايبيفانيوس عبادة مريم بعنف وكتب قائلا: "أكرموا مريم ودعوها لشأنها، ولا تعبدوا إلا الأب والابن والروح القدس، أما مريم فلا تَدَعوا أحداً يعبدها."(١١٨)

عقائد إيمانية وشعائر تعبدية تؤكد تأليه مريم عند الطائفة الكاثوليكية:

تقدم في الفصل الثاني من هذا البحث؛ ذكر أبرز العقائد المريمية عند الكنيسة الكاثوليكية؛ التي يؤكد عليها أتباع هذه الطائفة. كما أن ثمة مظاهر دينية، وشعائر تعبدية تدل بلا ريب على أن الكاثوليك جعلوا السيدة مريم في مصافِّ الإله؛ فلا غرو - إذن - أن نقول بأن الكنيسة الكاثوليكية تؤله مريم.

فمن المظاهر الدينية والشعائر التعبدية لدى الطائفة الكاثوليكية:

أنهم يؤمنون بعقيدة الحبل بلا دنس أي أن مريم معصومة من الخطأ، ومن الخطيئة.

كما يؤمن الكاثوليك بأن مريم أم الله أو والدة الإله. وهذا أعظم وصف أطلق على مريم من قبل الكاثوليك ومن وافقهم.

ويعتقد الكاثوليك بأن مريم قد انتقلت إلى السماء بروحها وجسدها معاً؛ وهناك اتحدت بالإله الابن فصار لها ما له من صفات الإلهية...

وبما أن مريم انتقلت إلى السماء فهي شريكة مع ابنها في الفداء وفي تدبير الخلاص.!!

---

(١١٨) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية (ص١٥٠).

يعتقد الكاثوليك بأن مريم هي (سيدة المطهر) فيمكنها حينئذٍ أن تمنح ما يفيض من فضائل الأفراد وغفراناتهم(١١٩) التي يأخذونها عن طريق التأديات الكنسية ؛ إلى النفوس المعذبة في المطهر.(١٢٠)

يؤمن الكاثوليك بأن مريم أعظم وسيله لحفظ البر والقداسة ؛ فيجب دوام العبادة لها...

يؤمن الكاثوليك بأن مريم الوسيطة والمعينة والمدافعة ...بين الله والناس.

كما أن الصلوات المريمية ؛ التي يؤديها الكاثوليك ؛ لا يمكن أن تسوغ إلا لإله ؛ إنهم يسجدون لصور البتول وتماثيلها ، ويرون بأن الصلاة تبتدئ من خلالها ، ومن تلك الصلوات : (صلاة مريم) وفيها يقولون : "يا خطيبة مختارة من الله ، يا أيتها المستحقة الاحترام من الجميع ، يا باب السماء ، يا ملكة السماء التي جميع الملائكة يسجدون لها ، وكل شيء يسبحها ويكرمها ، استمعينا يا أم الله ، يا ابنة ، يا خطيبة الله ، يا سيدتنا ارحمينا ، وأعطينا السلام الدائم ، لك نسجد ولك نرتل".(١٢١)

---

(١١٩) الغفرانات؛ هي: عبارة عن منح يمنحها الباباوات من يتلو تلاوات أو صلوات خاصة، أو لمن يزور أماكن مقدسة معينة. والغفرانات لها علاقة وطيدة بالمطهر فهي تساعد على خصم مدد منه (سنوات أو أيام). ونتيجة لكثرة التلاوات والزيارات المقدسة قد يحصلون على غفرانات أكثر مما يحتاجون لتغطية عقوبة سهواتهم وخطاياهم العرضية فتسمى هذه بزوائد فضائل القديسين، والغفرانات أنواع؛ فمنها ما يتعلق بأزمنة معينة، ومنها ما يتعلق بصلوات محددة، وهكذا...

(١٢٠) المطهر (Purgatory) . في اعتقاد الكاثوليك الكنيسة الرومانية الغربية (الباباوية) . هو: مكان أو حبس، يكون فيه تكفير للأنفس التي غادرت العالم وهي مثقلة بالخطايا العرضية، أو آثار الخطايا المغفورة من جهة الذنب وليس من جهة العقوبة ...

(١٢١) كتاب (الله جل جلاله) د.منقذ السقار (ص١٦٥).

مع أن هذا النظام الاعتقادي حول مريم ـ كما يقول (جرج ليتمير George litmer)ـ لا أساس له في الكتابات المقدسة. وبسبب أنه لا يوجد هناك دعم من الكتابات المقدسة للمريمية؛ إضافة إلى عدم وجود دليل لتحمل ذلك! يتساءل (جرج ليتمير George litmer): كيف يمكن للكنيسة الكاثوليكية أن تبرر موقفها؟ ويقول: "إنه يعتقد هنا أن الاقتباس من الدليل اللاهوتي الكاثوليكي الذي يهتم فحسب بمذهب واحد في النظام العقدي المريمي سوف يوضح هذه النظرة، فإنه يقرر أن فرضية الرفع الجسدي لمريم إلى السماء تدل على نحو كلي على فكرة شخصيتها على النحو الذي أعطيت إياه في الكتاب المقدس، والعقيدة، والتي تمكن الكنيسة من أن تستغني عن الدليل التاريخي الصارم لهذه الحقيقة ... فحينئذ تُحدث الحقائق فرقاً ضئيلاً، وبعبارة أخرى فإن السلطات الكاثوليكية الرومانية تعتقد أن مذهبها في المريمية يجب أن يكون حقيقياً؛ لأنها تقول: إنه حقيقي.!"(١٢٢).

ويؤكد (جرج ليتمر) بأن العديد من الكتب الكاثوليكية الرومانية المصدقة والمعتمدة ترفض وتكذب القول بأن الكنيسة الرومانية تتخذ مريم موضوعاً للعبادة، بل إنها تنظر إلى مريم على أنها كائن بشري فحسب، وأنه من المستحيل أن تكون مساوية لله. ثم ساق ما ذكره (كونواي CONWAY) في كتاب له عما تُعلمه الكنيسة، والذي جاء فيه: "أم الإله جديرة بالشرف والتقدير والاحترام، وقد كرمها بنفسه باختيارها من بين كل مخلوقاته، ولا يمكن أن ننسى الحقيقة الأساس في ديننا : هناك الله الواحد فحسب. وهو وحده الذي يجب أن يكون معبوداً. ولكن هذا لا يعني بأن نمنع الشرف إلى حد المعقول للمخلوقات، فالله يأمر بشكل واضح بأن تقدم التكريم والشرف إلى أبيك وأمك. وهنا هل من الخطأ أن يعطى التبجيل والشرف والتكريم لأم

(١٢٢) See, Catholic Teaching Examined, Examining Teaching in the Light of Scriptures, By David Riggs, Bible Study Guide, Without date, p.110.

الإله ؟! ومنذ البداية فإن الكنيسة أعطت مريم الدرجة الأعلى للتكريم والتبجيل التي يمكن أن تعطى لأي مخلوق، فهي إنسانة مثلما نحن. ولا يجب أبداً أن تعبد، ولكن من ناحية أخرى يجب أن لا نبجلها إلى حد مبالغ فيه؛ لأنه ليس من الممكن المبالغة في تقدير المميزات التي أعطاها لها الله تعالى في أن تكون أمَّه! وإن معظم المعارضين للرؤية الكاثوليكية لمريم تأتي معارضتهم من فهم خاطئ لطبيعة هذا الولاء الورع. فنحن لا نحاول تأليه مريم ولا أن نجعلها مساوية لله بأي ناحية."

لكن من اللافت أن (جرج ليتمير George litmer)لم يقبل هذا التصريح الذي أدلى به (كونواي CONWAY) وأكد بأن لدى الكنيسة الكاثوليكية الكثير من التأكيدات على المكانة التي تأخذها مريم! فهناك الأعياد المقدسة الملزمة لتكريس مريم، وهناك الصلوات الخاصة بها، أيضاً هناك الأضرحة المكرسة لها التي يزورها الحجاج كل عام، وهناك المذاهب الكاثوليكية التي تفصل مريم عن غيرها، فالكنيسة الكاثوليكية تقول بأن مريم مولودة بلا خطيئة، على حين أن الجميع غيرها مولود بالخطيئة، كما تؤكد بأن مريم رفعت إلى السماء بجسدها، وأنها شريكة في الوساطة، أي ما يتصل بدور المكرمة مريم على أنها شريكة في عملية الخلاص مع المسيح، إنها تسمي مريم: عذراء العذاري، أم الإله، ملكة السماء ، ملكة الحزن، مأوى الخطأة والمذنبين، العذراء الرحيمة...وما إلى ذلك من الأوصاف.

ويتساءل (جرج ليتمير George litmer) ـ متعجباً ـ فيقول: وإن لم يكن ذلك كله عبارة عن أنها معبودة في الكنيسة الكاثوليكية فماذا يعني بالضبط؟ ويؤكد بأن اللاهوتيين الكاثوليك الرومان يعترفون بأنه لا نص مقدس يؤكد موقفهم من مريم؛ يصل بهم إلى هذه الصياغة المعروضة في مدونة القانون الكنسي (رقم ١٢٥٥) في القرن العشرين للتمييز بين العبادة الخاصة بالله، وتلك التي تعطى لمريم! فهنا يقرأ: إن العبادة

تكون للثالوث الأقدس، إلى كل شخص مقدس، لربنا عيسى المسيح، والذي يوصف بأن له أعلى أنواع العبادة والتبجيل، وذلك الذي ينسب إلى مريم العذراء يسمى عبادة خاصة أو تبجيلاً خاصاً، الذي يكون الآخرون بسببه يحكمون مع المسيح في السماء يسمى التبجيل أو العبادة، وبالنسبة للأيقونات والصور فإن تبجيلها وعبادتها تعود إلى الأشخاص الذين تشير إليهم هذه الآثار والصور.

ويرى هذا الكاتب بأن الكنيسة الكاثوليكية تحاول تبرير ما تقدمه من أشكال العبادة لمريم؛ بالقول بأن العبادة التي يزاولها المؤمنون الكاثوليك؛ تنقسم إلى أنواع ثلاثة:

النوع الأول: العبادة التي تعطى لله فحسب.

النوع الثاني: العبادة الثانوية؛ التي تعطى للقديسين والملائكة باعتبارهم خدام الله.

النوع الثالث: العبادة الخاصة؛ والذي يعرف في القانون الكنسي بالتبجيل الخاص.

لكن هذه التقسيمات ـ بحسب جرج ليتمر ـ لا يوجد لها سند في الكتابات المقدسة! ويؤكد بأنها قد تكون مقبولة لدى القارئ غير المتخصص، ويقول: بأن هذه الصياغة اللاهوتية عديمة الفائدة! فمعظم الكاثوليك الرومان لا يفهمون هذا التمييز، ولا يقدرون عليه، وفي الحقيقة فإن معظمهم لا يدرك وجوده. ويقول بأن الإنسان البسيط؛ أو الطفل الذي يشارك في الاحتفالات بمريم، ويصيح بالصلوات والأغاني التي تقدم أمام تمثال مريم، وهناك سبحةٌ تحتوي على خمسين صلاةً لمريم!... كيف لأحد أن يميز بين ما يصنع أمام تمثال مريم؛ وما يصنع أمام تمثال المسيح؟. ويؤكد بأن

التميز هنا قد يكون على المستوى النظري فحسب، ولكن ليس هناك تمييز على مستوى الممارسة...

ويقول: إن الواقع الحالي يقرر أنهم يعبدون مريم. فمريم: هي المليئة بالنعمة، والرب يكون معها، وهي المباركة بين النساء، إن مريم القديسة، أم الإله، تصلي للمذنبين الآن إلى أن تأتي ساعة الموت. إضافة إلى العديد من الصلوات الأخرى إليها باعتبارها الحامية لهم، وما يطلب في هذه الصلوات هو نفس الأشياء التي يطلبها الكاثوليك من الله الآب، ومن الرب يسوع، هي بعينها ما يطلبونها في صلواتهم لمريم. وعلى حين أن صياغة أنواع العبادة لدى الكاثوليك وتقسيمها إلى ثلاثة أنواع؛ تسمح لهم بأن ينكروا ـ بصورة رسمية ـ عبادة مريم، فإن الممارسة الفعلية توضح شيئاً آخر مختلفاً تماماً، إن الله تعالى موضع التبجيل والتوقير والعبادة، ويجب ألا يعطى ذلك الذي يكون له أو لابنه لأي شخص آخر! ومن الملاحظ أنه في القرن الأول لم تعط الكنيسة مريم أيةَ مكانة خاصة، وبالتأكيد لم تعطها أي تبجيل خاص، أو عبادة خاصة، فالعبادة العليا ـ إضافة إلى الصياغة التي تعد جزءاً منها ـ محاولة لاهوتية لتبرير نظام الاعتقاد يشجع على عبادة مريم.(١٢٣).

ويؤيد ما ذكره (جرج ليتمر) أحدُ أبرز الباحثين في المذهب الكاثوليكي؛ فيقول: " وفي ضوء تبجيلها باعتبارها: ملكة السماء، وأم الإله ...هناك توجه إلى عبادتها كمقدسة.!"(١٢٤)

ويقول آخر: إن عبادة مريم ـ يعني في الكنيسة الكاثوليكية ـ مرجحة على عبادة المسيح.(١٢٥)

---

(١٢٣) See, Catholic Teaching Examined, Examining Teaching in the Light of Scriptures, By David Riggs, Bible Study Guide, Without date, pp.121-122.

(١٢٤) See, A dictionary of the holy Bible for general use, Published by American Tract society, New York, 1859, p. 275.

أقول: وبعد هذا فلا غرابة بأن يقال إن عبادة مريم في الكنيسة الكاثوليكية مقدمة وثابتة بشكل قطعي لا يتطرق إليه أدنى شك.[١٢٦]

المبحث الثالث: المصادر الوثنية لعقيدة تأليه مريم

لقد تبين من خلال ما تقدم من مباحث بأن طائفة من النصارى كانت تصرح بأن مريم عليها السلام (إله) وتصرف لها أنواعاً من العبادة...

كما تبين ـ أيضاً ـ بأن طائفة الكاثوليك قد ظهر في عقائدها المريمية ما يؤكد اعتبارها لمريم أنها إله ـ أو على الأقل ـ في منزلة الآلهة! لا سيما إذا نظرنا إلى ما تتوجه به إلى مريم من عبادات متنوعة...

ولعل من المناسب أن نختم مباحث هذا الموضوع بما يبين مصدر هذه العقيدة (تأليه مريم) باعتباره البذرة الأصلية التي أنبتت هذا المعتقد...

وبتتبع تاريخ هذه العقيدة نجد أن أقوى دوافعها وبوادرها؛ ما وقع في مجمع أفسس ٤٣١م الذي أعلن فيه بأن مريم (والدة الإله) أو (أم الإله) حيث تم إعلان ذلك في المكان الذي كان يشهد ترانيم المجد للمعبودة المتعددة الأثداء (ديانا) !! وهنا لا بد من ذكر الأساطير التي شاعت بعد المسيح بأن مريم لجأت مع الحواري يوحنا إلى أفسس حيث ماتت هناك، وأفسس كانت تعبد (ديانا) ."[١٢٧]

يقول (دوان): "كما نجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظمونهن ويلقبوهن بألقاب التمجيد والتفخيم... كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظمونها ويلقبونها

---

(١٢٥) See, Mariology: An unrecognized entrée to Ecumenical dialogue, by W. Paul Jones, in " The Journal of Religion", Vol. 44, No. 3, 9 Jul., 1964), p. 212.

(١٢٦) See, General History of Christian religion and church, by Joseph Torrey, Henry G. Bohn, London, 1851, Vol. 3, p. 363 ff.

(١٢٧) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية (ص٩٤).

بالألقاب التي يلقب الوثنيون بها والدات آلهتهم! يؤكد ذلك الرسوم التي يصور الوثنيون بها والدات آلهتهم تماماً."(١٢٨)

وأيضاً فإن الصينيين يضعون صورة الإله (شينمو) إلههم في أحسن محل من البيت ويغطونها بغطاء من الحرير! كما يفعل أكثر النصارى بصورة العذراء مريم. ويبنون الهياكل على اسمها مثل (هيلك) والدة الإله (متسوبو) كما يبني النصارى كنائسهم مثل (كنيسة السيدة وكنيسة العذراء).

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله (إيسيس) أو والدة المخلص (هورس) بأسماء عديدة منها (السيدة) (ملكة السماء) (والدة الإله) (الشفيعة) (العذراء) ... الخ . ويصورونها واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة، وبتأمل بسيط في صور السيدة العذراء لدى الكاثوليك ـ بخاصة ـ نجد أن ثمت علاقة وتقارباً وثيقاً بين تلك الصور التي تمتلئ بها الكنائس ؛ وبين صور الآلهة للوثنيين...!

ويؤكد أحدهم بأن (ملكة السماء) هو الاسم الذي لقبت به الوثنية اليهودية القمرَ ؛ كما في : (إرميا : ٧ / ١٨ و ٤٤ / ١٧ ، ١٨).(١٢٩)

قال بونويك في كتابه (دين المصريين) : "لقد جاء في كتاب للنصارى قديم العهد اسمه (سفر أخبار الإسكندرية) ما نصه : "انظروا كيف يمثل المصريون ولادة العذراء ثم ولادة ابنها"، وهذا عين ما يقوله النصارى بخصوص ولادة المسيح مع أن الزمن بين القصتين مديد جدًّا...وأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة إله وصوروها وعلى يدها ولدها الإله كما هي الحال عند النصارى تماماً واسم هذه العذراء (ميليتا) واسم ابنها المخلص (تموز) يلقب بالوسيط والمخلص، وكان يوجد في جزيرة قبرص

---

(١٢٨) خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها في الديانات الأخرى، دوان (ص٨٣).

(١٢٩) See, A dictionary of the holy Bible for general use, Published by American Tract society, New York, 1859, p. 275.

هيكل اسمه (هيكل العذراء ميليتا) وهو أعظم الهياكل التي كانت في عصر اليونانيين إبان مجدهم.

وعيد دخول المسيح إلى الهيكل وتطهير العذراء الذي يقع في ٢ شباط من كل سنة هو من أصل مصري فقد كان المصريون يعيِّدون إجلالاً وتعظيماً للعذراء نايث وفي ذات اليوم يعيد النصارى هذا العيد...كما أن اليونانيين يدعون والدة الإله العذراء (جونو): (ملكة السماء) ويعبدونها، معتقدين أنها حارسة النساء من المهد إلى اللحد! كما تعتقد النصارى اليوم في مريم العذراء .

وربما تبادر سؤال مهم هنا وهو: لماذا لم تكن السيدة مريم ثالث الثلاثة بدلاً من الروح القدس؟

يجيب على هذا التساؤل؛ كارل غوستاف يونغ، في كتابه (علم النفس والديانة الغربية) فيقول: "إن ذلك عائد إلى التأثر بأديان مصر القديمة، التي ترفض أن تكون المرأة عنصراً في الثالوث.!"(١٣٠)

الخاتمة

بعد إتمام البحث بعون الله وتوفيقه سأذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها؛ وهي:

أولاً: أن العهد الجديد لم يحفل بذكر مريم عليها السلام، بل أقوال الكتاب المقدس لدى النصارى عن هذه السيدة الجليلة؛ قليلة العدد والأهمية.

ثانياً: أن من أنعم النظر في نصوص (العهد الجديد) من الكتاب المقدس لدى النصارى، ونظر في نصوص القرآن الكريم؛ وقارن بينهما بموضوعية تامة ـ بعيداً عن

---

(١٣٠) الأصول الوثنية للمسيحية (ص٢١).

التعصب المقيت والتقليد الأعمى ـ فسيوقن ـ بلا ريب ـ أن لا وجه للمقارنة بين مكانة مريم في العهد الجديد ومكانتها في القرآن العظيم ؛ فالفرق كبير والبون شاسع...

ثالثاً: أن القرآن قد أكثر من ذكر السيدة مريم عليها السلام ؛ وجعل ذلك من خصائصها ؛ حيث لم يذكر غيرها من النساء باسمها، وأخبر القرآن عن حالها، معظماً لشأنها، مسترسلاً في الحديث عن قصتها ؛ منذ أن حملت بها أمها ؛ ودخولها في كفالة نبي الله زكريا عليه السلام إلى أن ولدت ابنها عيسى عليه السلام وما جرى لها بعد الولادة من الكرب والشدة ؛ وكيف أنجاها الله من ذلك بما أجرى على يديها من الكرامات الباهرات...

رابعاً: أن هناك عقائد تتعلق بمريم عليها السلام اختصت بها الكنيسة الكاثوليكية بين سائر الطوائف ؛ فصارت تعرف بـ (العقائد المريمية) قد لا يوافق عليها بقيَّة النصارى المبجلين لمريم.

خامساً : أن الكاثوليك يقولون : إن مريم دائمة البتولية ؛ فحملها بعيسى كان بتوليًّا ؛ من غير ذكر، وأنها بقيت بتولاً لم تتزوج طيلة حياتها ؛ ويرى الكاثوليك بأن الجدال في هذه القضية قد حسم في مجمع نيقية الذي أقر بعقيدة (الدائمة البتولية) وبأن آباء الكنيسة وجدوا عدداً من نبوءات العهد القديم تشير إلى بتولية العذراء الدائمة.

سادساً: أن الكاثوليك يعتقدون بأن مريم عليها السلام انتقلت بروحها وجسدها إلى السماء، وأن هذه العقيدة ـ بالرغم من اشتهارها في أوساط الطائفة الكاثوليكية ومن وافقهم عليها من الطوائف النصرانية الأخرى ـ لم يذكرها الكتاب المقدس ؛ ولم تثبت بنص رسمي لدى النصارى، كما لم تبحثها المجامع الكنسية! بل ظهرت في بعض كتابات آباء الكنيسة...بل لم يتم إعلانها إلا في عام ١٩٤٢م، ويقولون : إن انتقال مريم عليها السلام إلى السماء بجسدها وروحها تشريف لجسدها

المقدس النقي، وتتخذ الكنيسة الكاثوليكية لهذه المناسبة عيداً في الخامس عشر من شهر أغسطس من كل عام.

سابعاً: يعتقد الكاثوليك - أيضاً - بأن مريم عليها السلام وُلدت مبرأةً من دنس الخطيئة الأصلية، التي يتوارثها الجنس البشري ـ بحسب عقيدة النصارى ـ ... ويرون بأن هذا لم يكن ناتجاً من ذات مريم؛ بل كان ذلك لها استحقاقاً من ابنها يسوع، وفي يوم ٨ ديسمبر من كل عام يحتفل الكاثوليك بعيد الحبل بالعذراء بلا دنس الخطية الأصلية.

ثامناً: أن من أهم العقائد المريمية لدى الكنيسة الكاثوليكية؛ اعتقادها بأن مريم: أم الإله. وأن هذه العقيدة منبثقة عن اعتقاد البتولية الدائمة، والانتقال إلى السماء، وهذا يوضح بأن هذه العقائد المريمية مرتبطة فيما بينها لدى الطائفة الكاثوليكية.

تاسعاً: أن إطلاق لقب (أم الإله) على الصديقة مريم عليها السلام كانت بداياته من مجمع نيقية ٣٢٥م، ثم تقرر بشكل واضح في مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٢٨م؛ حين أنكر نسطور بطريرك القسطنطينية إطلاق هذا اللقب؛ فكان سبب انعقاد هذا المجمع الرد على نسطور وإقرار عقيدة (أم الإله).

أن هناك طائفة أو طوائف في تاريخ النصرانية تقول بألوهية مريم، وأن هذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم؛ فلا وجه لإنكار النصارى أن يكون أحد منهم يقول بألوهية مريم، وأن ما ذكره القرآن عن النصارى من القول بألوهية مريم؛ لا يلزم منه أن يكون قول جميعهم.

عاشراً: أن مذهب جمهور المفسرين بأن المراد بـ: (الثلاثة) في قول الله تعالى ـ خطاباً للنصارى ـ: ولا تقولوا ثلاثة وفي قوله: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. : الله، وعيسى، ومريم.

الحادي عشر: أنه لو افترضنا جدلاً صحة ما يدعيه النصارى من أنهم لم يتخذوا مريم إلهاً؛ كما نص عليه القرآن! فإن جوابه أن يقال: إنهم لما قالوا إنها ولدت الإله! لزمهم أن يقولوا بإلاهيتها من أجل البعضية؛ فصاروا بمثابة القائل بإلاهيتها، كما أن القرآن الكريم ذكر بأن النصارى اتخذوا مريم إلهة؛ والاتخاذ غير التسمية. فهو يصدق بالعبادة وهي واقعة قطعاً، وبين في آية أخرى أنهم قالوا: (إن الله هو المسيح ابن مريم) [سورة المائدة: ١٧ ، ٧٢] وذلك معنى آخر. وقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى في أهل الكتاب: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) [سورة التوبة: ٣١] أنهم اتبعوهم فيما يحلون ويحرمون؛ لا أنهم سموهم أرباباً.

الثاني عشر: أن علماء المسلمين وكذلك بعض الباحثين الغربيين يرون بأن ما يتقرب به النصارى من أنواع العبادات لمريم عليها السلام في صلواتهم ودعائهم واستشفاعهم ونحو ذلك عينُ تأليهها؛ لأن هذه الشعائر العبادية لا يجوز صرفها إلا للإله فحسب.

فهرس المصادر

المصادر العربية:

[١] *أثر الكنيسة على الفكر الأوربي*، أحمد علي عجيبة، ن: دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.

[٢] *أديان العرب وخرافاتهم*، الأب: أنستاس ماري الكرملي، ت: د. وليد محمود خالص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

[٣] *أسرار الفاتيكان*، ليو بولد ليدل، ترجمة: تحسين حجازي، ن: دار التضامن، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

[٤] *أسرار الكنيسة السبعة*، الأرشيد ياكون حبيب جرجس، ن: مكتبة المحبة، القاهرة.

[٥] *أسس الإيمان*، ديريك برنس، ترجمة: صلاح عباسي، ن: W.T.P الموقع الإلكتروني: www.wtp-me.com .

[٦] *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

[٧] *إظهار الحق*، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي (ت١٣٠٨هـ) ت: محمد ملكاوي، رئاسة الإفتاء، الرياض، ١٤١٠هـ

[٨] *الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام*، محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) ت: د. أحمد حجازي السقا دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨.

[٩] *أم الله أمنا*، أديب مصلح، ط١، ٢٠٠٩ بيروت.

[١٠] *أمجاد مريم البتول* ـ القديس الفنسوس ـ موجود إلكتروني.

[١١] *الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية*، سليمان بن عبدالقوي الطوفي (ت٧١٦هـ) ت/ د. سالم القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩

[١٢] *انتقال العذراء بالنفس والجسد إلى السماء*، كنيسة الإسكندرية الكاثوليكية، ١٣ تشرين أول ٢٠١٠.

[١٣] *تاريخ الكنيسة*، جون لوريمر، ترجمة: عزرا مرجان، ن: دار الثقافة، ط١، ١٩٩٠.

[١٤] *تاريخ الكنيسة*، يوسابيوس القيصري، ترجمة القمص مرقس داود، ن: مكتبة المحبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨.

[١٥] *تاريخ الكنيسة*، يوسابيوس القيصري، ترجمة: مرقص داود، مكتبة المحبة، مصر.

[١٦] *التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق*، البطريرك: افتيشيوس المكنى: سعيد ابن البطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥.

[١٧] *تاريخ اليعقوبي*، اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ.

[١٨] *التحرير والتنوير*، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس.

[١٩] *تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب*، عبدالله الترجمان الأندلسي (القس: إنسلم تورميدا ـ سابقاً) ت: د.محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة.

[٢٠] *التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية*، النسخة المعربة عام ١٩٩٧، ن: المكتبة البولسية جونية لبنان.

[٢١] *تفسير البحر المحيط*، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

[٢٢] *تفسير السراج المنير*، محمد بن أحمد الشربيني (ت٩٧٧ه) دار الكتب العلمية، بيروت

[٢٣] *تفسير القرآن العظيم*، إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ه) ت: مصطفى السيد وآخرون، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤١٢هـ.

[٢٤] *تفسير القرآن*، منصور بن محمد أبو المظفر السمعاني (ت٤٨٩هـ) ت: ياسر غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨.

[٢٥] *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبدالرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) ت: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ

[٢٦] *جامع البيان في تفسير القرآن*، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ه) دار الهجرة، مصر، ط١

[٢٧] *الجامع الصحيح*، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، بيروت.

[٢٨] *الجامع الصحيح*، محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) دار إحياء التراث، بيروت.

[٢٩] *الجامع الصحيح*، مسلم بن الحجاج، ت: محمد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣٠] *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*، محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني، وآخر، دار الكتب المصرية، القاهرة.

[٣١] *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، أحمد ابن تيمية، ت: عبدالعزيز العسكر وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ

[٣٢] *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، عبدالرحمن بن محمد الثعالبي (ت٨٧٥هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

[٣٣] *الحبل بلا دنس البتولية الدائمة*، جمعية التعليم المسيحي، حلب، ١١ تشرين أول ٢٠١٠.

[٣٤] *حياة مريم العذراء الرائعة*، *الأب البير أبونا*، مكتبة الناصرة، بغداد، ١٩٩١.

[٣٥] *خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها في الديانات الأخرى*، دوان، دون معلومات نشر.

[٣٦] *خلاصة اللاهوت المريمي*، الأب: أغسطين دوبرة لاتور، ترجمة: يوسف قوشاجي، دار المشرق، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢.

[٣٧] *دائرة معارف الدين*، المجلد الرابع، ص ١٢٥، مادة "المجامع المسيحية".

[٣٨] *دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية*، وسام عبدالعزيز فرج، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٧م.
[٣٩] *دوام بتولية العذراء*، الأنبا تكلا، ٢٠١٠.
[٤٠] *الرد على البكري*، أحمد ابن تيمية الحراني، مكتبة الغرباء، المدينة، ١٤١٧هـ
[٤١] *الرد على النصارى*، القاسم بن إبراهيم الرسي الزيدي (ت٢٤٦هـ) ت: إمام حنفي، دار الآفاق العربية، بالقاهرة، ط١ ، ١٤٢٠.
[٤٢] *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ) ت: علي عبدالباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ
[٤٣] *زاد المسير في علم التفسير*، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ ،١٤٠٤هـ
[٤٤] شرح *صحيح البخاري*، علي بن خلف ابن بطال، ت: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ ، ١٤٢٣هـ،
[٤٥] *الصفدية*، أحمد ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢ ، ١٤٠٦ه
[٤٦] *الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي*، د. محمد الزيلعي، ن: مجلة البيان، ط١ ، ١٤٣٢.
[٤٧] غاية *المقصود في الرد على النصارى واليهود*، السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق: د.إمام حنفي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٧.
[٤٨] غريب *القرآن*، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٩٨هـ

[٤٩] غريب *القرآن*، محمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ) ت: محمد أديب، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦ه

[٥٠] *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ

[٥١] *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

[٥٢] *الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية*، القس ابراهيم عبد السيد المسيح، ن: مكتبة المحبة، القاهرة، ط١٣، ١٩٩٦.

[٥٣] *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، علي بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة.

[٥٤] *قررات مجمع نيقية الأول؛* في: الموسوعة العربية: نؤمن بإله واحد، ٢٠١٠.

[٥٥] *الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها*، دنتسنغر، بيتر هونرمان، ترجمة: المطران يوحنا منصور، ن: المكتبة البولسية، بيروت ط١، ٢٠٠١.

[٥٦] *الكنيسة الكاثوليكية والإسلام*، ميشال لولون، ترجمة: فاطمة الجامعي، ن: المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

[٥٧] *اللآليئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة*، القمص: يوحنا سلامة، ن: مكتبة مار جرجس، مصر، ١٩٩٩.

[٥٨] *لباب التأويل في معاني التنزيل*، علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ

[٥٩] *اللباب في علوم الكتاب*، عمر بن علي النعماني (ت٧٧٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ،١٤١٩هـ

[٦٠] *الله واحد أم ثالوث*، د. محمد مرجان، مكتبة النافذة، مصر، ط٢، ٢٠٠٤.

[٦١] *محاضرات في النصرانية*، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٣٨١هـ.

[٦٢] *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ) ت: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ

[٦٣] *المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم*، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولسية، بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٩.

[٦٤] *مختصر تاريخ الكنيسة*، ندرو ملر، ن: مكتبة الأخوة، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣.

[٦٥] *مدخل إلى العهد الجديد*، لجنة من اللاهوتيين بموافقة الخورأسقف بولس باسيم النائب الرسولي للاتين في القدس، دار المشرق، الطبعة السادسة عشر، بيروت 1989م

[٦٦] مريم *العذراء في التاريخ والطقس والعقيدة*، القمص: سيداروس عبدالمسيح، ن: مكتبة مار جرجس، مصر، ٢٠٠٤.

[٦٧] مريم *أم الرب ورمز الكنيسة*، ماكس توريان، ترجمة: خليل سليم، دار المشرق، ط٤، ٢٠٠٦.

[٦٨] *مسند الإمام أحمد*، أحمد بن حنبل، ت: أبو المعاطي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.

[٦٩] *المسيحية في عقائدها*، نقله إلى العربية المطران كيرلس سليم بسترس، ن: المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٩٨.

[٧٠] *مشارق الأنوار على صحاح الآثار*، القاضي عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ) دار التراث، مصر.

[٧١] *مصنف ابن أبي شيبة*، عبدالله بن محمد العبسي (ت٢٣٥هـ) ت: محمد عوامة، دار القبلة، مصر.

[٧٢] *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ) ت: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط٤ ،١٤١٧هـ.

[٧٣] *معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية*، عمران محمد سعيد، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م.

[٧٤] *معاني القرآن*، يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ت: أحمد يوسف وآخرون، الدار المصرية، مصر.

[٧٥] معجم *اللاهوت الكتابي*، ترجمة: فريق بإشراف: أنطونيوس نجيب، دار المشرق، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨.

[٧٦] *مفاتيح الغيب*، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٧٧] *مفردات القرآن*، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) دار العلم، دمشق، ١٤١٢ه

[٧٨] *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*، أحمد بن عمر القرطبي ابن المزين (ت٦٥٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

[٧٩] *مكانة السيدة مريم العذراء* ـ مقارنة بنساء العالمين في القرآن، عبدالمعطي الشحات، دار ابن حزم، السعودية.

[٨٠] من هي مريم *العذراء*، شماس: نبيل حليم يعقوب، نشر: (www.coptcatholig.net) عام٢٠١٢.

[٨١] *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢ ،١٣٩٢هـ

[٨٢] *مورد العابدين،* المرسلون اللبنانيون بإذن البطريرك أنطونيوس خريش، دار كريم للنشر، ط: ٩، ١٩٨٤.

[٨٣] *موسوعة المعرفة المسيحية ـ الأسرار ـ سر الزواج،* الخور أسقف: ليون عبدالصمد، ط٤، ٢٠٠٧ ،دار المشرق بيروت.

[٨٤] *النصرانية،* د.عرفان عبدالحميد، دار عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠.

[٨٥] *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،* ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، نشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

[٨٦] *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،* علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

المصادر الأجنبية:

[٨٧] Angles A To Z, Edited By, Evelyn Dorotby Oliver and James R. Lewis, Second Edition, Visible Inc. Press, Malaysia.

[٨٨] Encyclopedia of Christian Theology, Edited by , Jean. Y Ves, Lacoste, Routlege, New York, 2005.

[٨٩] The Orthodox Church; An Introduction to its history, Doctrine, and spiritual Culture, by John Anthony McGuckin, Blackwell publishing, without date.

[٩٠] Catholic Teaching Examined, Examining Teaching in the Light of Scriptures, By David Riggs, Bible Study Guide, Without date.

[٩١] Under the Ban, By, Dr. Mivart. Office Of Publication Park Row Building, New York, Without Date.

[٩٢] A History of Christian Councils, by Charles Joseph, Second Edition, Edinburgh, 1954.

[٩٣] A dictionary of the holy Bible for general use, Published by American Tract society, New York, 1859.

[٩٤] Catholic Christianity or the reasonableness of our religion, by REV. O. R. Vassall Phillips, R. & T. Washbourne . LTD, London, 1916, P. 71.

[٩٥] General History of Christian religion and church, by Joseph Torrey, Henry G. Bohn, London, 1851.

[٩٦] Mariology: An unrecognized entrée to Ecumenical dialogue, by W. Paul Jones, in " The Journal of Religion", Vol. 44, No. 3, 9 Jul., 1964).

A Deification of the virgin Mary in Catholic Sect

Dr. Youssef Ben Ali AL-ttraif
Associate Professor in Department of Aqeedah in Qassim University

Abstract. The main idea of this thesis is too important issue in Christian dogma, that is A Deification of the virgin Mary in Catholic Sect, Which Holy Quran indicates it in Surah AL – Maeda, Verse, 106 " "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله - Did you say unto men: 'Worship me and my mother as two gods besides Allâh?'. This issue became a wide controversy known among all of Christians Sects, until some of Christians goes to deny which Holy Quran mentioned it in issue of a deification of Mary peace be upon him in Christianity and try to make suspicion about this truth which Holy Quran explained it. The main aim of my study is to explain that The Holy Quran is right about some Christians dogma of Mary peace be upon him, and Catholic church actually believed in a deification Mary through Mariology dogma, and What catholic church made for him, such as a number of rituals, hymens and prays to Lady Mary. All of these means that Mary was Worshiped by some Christian Sect.

To explain this truth, my study was came to contain four chapters, as the following:

The Frist Chapter is " The Place of Mary among of The Holy Quran and New Testament", the second is " Mariology dogma in Catholic Church and its related with deification of Mary'', the third chapter is '' Councils, Christian sect on deification of Mary in fourth and fifth centuries'', and the fourth chapter is '' Critical Reading of contemporary Christian attitude of denying of deification of Mary".

Finally, a conclusion dealt with results of study which researcher was explained through his study.